



# مسارات لاعنفية نحو التغيير الاجتماعي



مكتب برامج الإعلام الخارجي / وزارة الخارجية الأمريكية



وزارة الخارجية الأمريكية/ آذار/مارس 2009/ المجلد 14 العدد 3  
<http://www.america.gov/ar/publications/ejournals.html>

## مكتب برامج الإعلام الخارجي:

جيريمي كيرتن  
جوناثان مارغوليس

منسق مكتب برامج الإعلام الخارجي  
المحرر التنفيذي

جورج كلاك  
ريتشارد هاكابي  
بروس أوديسي  
كريس لارسون  
كلويه دي. إبليس  
جنين بيرري

المدير الفني:  
رئيس التحرير:  
مدير التحرير:  
مدير الإنتاج:  
مساعدة مدير الإنتاج:  
الإنتاج على الإنترنت:

كاتلين هاغ  
ماغي جونسون سليكر  
دايان وولفيرتون  
أنيتا أن. غرين

محررة النص:  
محررة الصور:  
تصميم الغلاف:  
أخصائية المراجع:



U.S. DEPARTMENT OF STATE - BUREAU OF INTERNATIONAL INFORMATION PROGRAMS

صورة الغلاف: جانب من مهرجان موسيقى الروك الذي أقيم في عاصمة بيلاروس، مينسك، بمناسبة الاحتفال بعيد الاستقلال الخامس عشر سنة 2006. وقد ارتدى المشاركون بالمهرجان قمصان تي شيرت كتب عليها "الجبهة الشابة".

يوفر مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأميركية منتجات وخدمات تشرح سياسات الولايات المتحدة والمجتمع الأميركي والقيم الأميركية إلى القراء الأجانب. ينشر المكتب خمس مجلات إلكترونية تبحث في المسائل الرئيسية التي تواجه الولايات المتحدة والمجتمع الدولي. وتنتشر هذه المجلات بيانات السياسة الأميركية مع التحليلات والتعليقات والمعلومات الخلفية في مجالات مواضيعها وهي: مواقف إقتصادية، وقضايا عالمية، وقضايا الديمقراطية، وأجندة السياسة الخارجية الأميركية، والمجتمع الأميركي وقيمه.

تنتشر جميع الإصدارات باللغات الإنكليزية والفرنسية والبرتغالية والإسبانية، وتنتشر مواضيع مختارة منها باللغتين العربية والروسية. تُنشر الإصدارات باللغة الإنكليزية كل شهر تقريباً، وعادةً يتبعها نشر النصوص المترجمة بعد مدة تتراوح بين أسبوعين وأربعة أسابيع.

إن الآراء الواردة في المجلات لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات حكومة الولايات المتحدة ولا تتحمل وزارة الخارجية الأميركية أية مسؤولية تجاه محتوى المجلات أو فيما يخص الوصول المستمر إلى مواقع الإنترنت الموصولة بهذه المجلات. تقع هذه المسؤولية بصورة حصرية على الناشرين في هذه المواقع. يمكن استنساخ وترجمة المواد الواردة في هذه المجلات في خارج الولايات المتحدة الأميركية ما لم تكن المواد تحمل قيوداً صريحة على مثل هذا الاستعمال حماية لحقوق المؤلف. يجب على المستعملين المحتملين للصور الفوتوغرافية المنسوبة إلى مصورين محددين الحصول على إذن باستعمالها من أصحاب الصور.

توجد الإصدارات الجارية والسابقة لهذه المجلات وجدول بالتواريخ اللاحقة لصدورها على الصفحة الدولية الخاصة بمكتب برامج الإعلام الخارجي على شبكة الإنترنت في الموقع <http://www.america.gov/ar/publications/ejournalusa.html> وتتوفر هذه المعلومات وفق برامج كمبيوتر متعددة لتسهيل تصفحها مباشرة أو نقل محتوياتها أو استنساخها أو طباعتها.

Editor, eJournal USA  
IIP/PUBJ  
U.S. Department of State  
301 4th St. S.W.  
Washington, DC 20547  
United States of America

E-mail: [eJournalUSA@state.gov](mailto:eJournalUSA@state.gov)

## حول هذا العدد



متظاهرون رومانيون ضد الارهاب سنة 2004.

مُهندس (المهاتما) غاندي ومارتن لوثر كينغ جونيور وأتباعهما لم يقبلوا القمع والرضا بكونهم مواطنين من الدرجة الثانية. لكن الزعيمين سعياً بنشاط إلى انتهاج أساليب عملية لاعنفية لتحرير شعبيهما.

شهدت السنوات الثلاثون الماضية زيادة كبيرة في جميع أرجاء العالم في حركات اللاعنف التي اشتهرت بأنها "قوة الشعب" التي استهدفت تعزيز حقوق الإنسان والإطاحة بالحكام المستبدين. ومن خلال الحملات الإعلامية، وحركات المقاطعة، والمظاهرات، وأساليب أخرى استطاع المشاركون في الاحتجاجات إثبات أن الأفعال التي لا تتسم باللعنف يمكن أن تكون أقوى من عمليات العصيان المسلحة في تحقيق التغيير الاجتماعي.

يعود الفكر التقليدي الأنغلو-أميركي لثقافة اللاعنف إلى قرون عديدة خلت، وقد انتشر بين التجمعات السكانية الكبيرة منها والصغيرة، في الولايات المتحدة وخارجها. واليوم، يساعد منظمو التجمعات السكانية الشعب في الولايات المتحدة على التمسك بحقوقهم أمام نظم الحكم المحلي المنتخبة. ويتولى أفراد في أنحاء متفرقة من العالم قيادة حركات اللاعنف في صورة حملات مختلفة من أجل إنقاذ الغابات المحلية وحمايتها من التدمير، وحماية أهل القرى والبلدات الصغيرة من الموت بسبب الألغام الأرضية، وانتشال الأطفال المحليين من قضاء بقية أعمارهم ضحية للجهل.

كما تُبشر الشبكات الاجتماعية المنتشرة عبر الإنترنت بأنها ستوفر أيضاً للناس أدوات أكثر فعالية من أجل تعزيز التغيير وتشجيعه، مثلما أظهر ذلك الرئيس باراك أوباما أثناء حملته الانتخابية عام 2008.

وكما كتب مستشار شؤون الإنترنت، كلاي شيركي، في هذا العدد من المجلة الإلكترونية إي جورنال يو إس آيه، فإنه "كلما تمكنت من تحسين قدرة مجموعة ما على الاتصال فيما بينهم، فإنك تكون بذلك قد غيرت الأشياء التي يمكن لتلك المجموعات أن تنجزها سوية."

والمثال الشهير على ذلك هو ما فعلته مجموعة على موقع فايسبوك Facebook.com التي أطلقها شباب من بوغوتا، كولومبيا وتحمل اسم No Mas FARC. فقد نظمت هذه المجموعة عبر شبكة الإنترنت مظاهرات احتجاج ضد قوات كولومبيا المسلحة المعروفة اختصاراً باسم (فارك)، وهي منظمة إرهابية كولومبية، شارك فيها حوالي 12 مليون فرد في 190 مدينة حول العالم. وفي عام 2008، اجتمعت في نيويورك قيادات المجموعة المناهضة لمنظمة فارك مع قادة مجموعات شبابية أخرى من 15 دولة، وشكلوا تحالف الحركات الشبابية التي كرست جهودها لمساعدة هذه المجموعات على استخدام تكنولوجيا الإنترنت لمواجهة العنف.

وتقول أحدث التطورات العلمية الحديثة إن هذه الحركات تمتد جذورها في أعماق النفس البشرية. فالحرب، على سبيل المثال، قد لا تكون جزءاً من الطبيعة البشرية المتوارثة. كما تظهر أبحاث العلوم الاجتماعية أن الانسجام مع الآخرين ليس مسألة طبيعية أيضاً، ولكن في ظل ظروف معينة يستطيع الناس أن يتعلموا التعاون من أجل تحسين أحوال الجميع.

وقد أجمع المساهمون في هذه النشرة على أن العنف المسلح ليس ضرورياً دوماً لتحقيق التغيير الإيجابي. وكل ما يقولونه ويطالبون به هو إعطاء اللاعنف فرصة.

المحررون



وزارة الخارجية الأمريكية/ آذار/مارس 2009/ المجلد 14 العدد 3  
http://www.america.gov/ar/publications/ejournalusa.html

## مسارات لاعنفية نحو التغيير الاجتماعي

- 11 **ما الذي يقوم به منظمو المجتمعات الأهلية؟**  
بقلم كاثي بارتريج، مديرة تنفيذية في مؤسسة إنترفيث فاندريز  
اعتمد ملايين المواطنين الأميركيين على منظمي المجتمعات الأهلية لتعليمهم كيفية الضغط على الحكومات للقيام بالعمل الصحيح. الحروب ليست جزءاً من الطبيعة الإنسانية. فالحضارة تعزز طرقاً أقل عنفاً لتحقيق التغيير.
- 15 **الحملة الإلكترونية: حشد المتطوعين والناخبين**  
بقلم ديفيد تالبوت، مراسل رئيسي لمجلة *تكنولوجي ريفيو*.  
أظهر انتصار باراك أوباما في انتخابات 2008 أن الأدوات القائمة على شبكة الانترنت للتبرع بالأموال ولتسخير جهود اعداد كبيرة من المتطوعين يمكن أن تشكل قوة هائلة.
- 19 **تسخير قوة الاحتجاج**  
بقلم كلاي شيركي، أستاذ في برنامج الاتصالات المتفاعلة في جامعة نيويورك.  
أدوات الاتصالات الجديدة البسيطة تزيل العقبات من أمام العمل الجماعي للناس العاديين، وبهذا تغير العالم.

## لماذا ينجح اللاعنفي

- 4 **قوة العمل اللاعنفي**  
بقلم ستيفن زونس، أستاذ العلوم السياسية في جامعة سان فرانسيسكو.  
التمرد المسلح يفرض تكاليف بشرية هائلة. بينما تنجح حركات "قوة الشعب" اللاعنفية في لفت الانتباه إلى القمع الحكومي وفي كسب دعم المترددين.
- 8 **الفكر اللاعنفي عبر التاريخ الأمريكي**  
بقلم آيرا تشيرنوس، أستاذة الدراسات الدينية في جامعة كولورادو في مدينة بولدر.  
التقاليد الفكرية للفكر والعمل اللاعنفي ذات الجذور في أوروبا القرن السادس عشر، نشأت في الولايات المتحدة في القرنين التاسع عشر والعشرين، وانتقلت منها إلى الخارج إلى آسيا وأفريقيا.
- توليد التغيير على المستوى الشعبي**

## حلول يقترحها العلم

- 22 **هل تنتهي الحروب على الإطلاق؟**  
بقلم جون هورغان، مدير مركز الكتابات العلمية في مؤسسة ستيفنز للتكنولوجيا.  
الحروب ليست جزءاً من الطبيعة الإنسانية.  
فالحضارة تعزز طرقاً أقل عنفاً لتحقيق التغيير.

- 26 **مأزق السجين وفرص أخرى**  
بقلم ديفيد بي باراش، أستاذ علم النفس في جامعة واشنطن  
نظرية الألعاب التنافسية توحى ان التعاون، وان كان ليس بالسهل تحقيقه، يمكن ان يكون أحياناً كثيرة أفضل من النزاع.

## سبعة يغيرون العالم

- 29 **قليلون، لكن ما حققوه غير الكثير**  
هوارد سنكوتا مراسل خاص لموقع أميركا دوت غوف.  
ليست هنالك من صيغة واحدة لإجراء تغيير اجتماعي ذي معنى في عالم بهذه الدرجة المروعة من التعقيد والتنوع. يصف هنا الكاتب هوارد سينكوتا سبعة أفراد يظهرون كيف يمكن تحقيق هذا التغيير.

- 36 **مصادر رئيسية**

# قوة العمل اللاعنفي

ستيفن زونس



© AP Images/Greg English

حركات قوة الشعب كالتي حصلت في عام 1989 في تشيكوسلوفاكيا ساعدت في إسقاط الأنظمة السلطوية

أخلاقيين عظيمين، هما من أكثر القادة شهرة في نطاق الحركات اللاعنفية. لم يلتزم بالعمل اللاعنفي كوسيلة فعالة لكفاحهما فحسب، بل تمسكا أيضاً بالتزام يستند إلى إيمان عميق باللاعنف كشعار أخلاقي شخصي. لكن غاندي وكنغ، من أوجه عديدة، كانا غير اعتياديين في التزامهما الشخصي بمبادئ اللاعنف نظراً لأن الغالبية العظمى من الحركات اللاعنفية وقادتها لم يكونوا مؤمنين بالمبدأ السلمي بل اعتنقوا العمل غير العنيف كأفضل وسيلة استراتيجية لتقدم كفاحاتهم.

وفي الواقع أن الكفاحات التي كانت لاعنفية في الأساس، والتي حصلت خلال العقود الأخيرة، لم تؤد فقط إلى اعتماد إصلاحات سياسية واجتماعية ذات شأن ساهمت في تقدم قضية حقوق الإنسان، بل وأسقطت أيضاً أنظمة حكم قمعية من السلطة، وأجبرت قادة على تغيير طبيعة حكمهم بالذات. ونتيجة لذلك تطورت المقاومة اللاعنفية من استراتيجية خاصة مترافقة مع مبادئ دينية أو أخلاقية معينة إلى وسيلة كفاح عاكسة لغيرها

تفرض أعمال التمرد المسلحة ثمنا بشريا هائلا. أما حركات "قوة الشعب" غير العنيفة فتنجح في جذب الانتباه نحو القمع الحكومي وفي كسب دعم المترددين.  
ستيفن زونس، هو أستاذ للعلوم السياسية في جامعة سان فرانسيسكو، والمحرر الرئيسي لكتاب، "الحركات الاجتماعية اللاعنفية" (بلاكويل، 1999)، ويرأس لجنة المستشارين الجامعيين للمركز الدولي للنزاعات اللاعنفية.

شكلت حملات العمل اللاعنفي جزءاً من الحياة السياسية لألاف السنوات، حيث كانت تتحدى الانتهاكات التي تقوم بها السلطات، وتتصدر حركات الإصلاح الاجتماعي، وتطالب بإنهاء الحكم الاستعماري، وتحث على التسلط العسكري والتمييز العنصري.

المهاتما غاندي، الهندي، ومارتن لوثر كنج جونيور، الأميركي، اللذان كانا مفكرين استراتيجيين لامعين وقائدين



Black Star/Bob Fitch

مارتن لوثر كينغ جونيور والمهاتما غاندي اعتنقا اللا عنف كأفضل وسيلة استراتيجيّة لتقدم كفاحاتهما.

التمرد المسلحة. حتى وعندما تنتصر الحركة الثورية المسلحة، فإنها تؤدي إلى تهجير أجزاء كبيرة من السكان من منازلهم، وإلى تدمير المزارع والقرى، وإلحاق الأضرار البالغة بالمدن وبالكثير من البنى التحتية في البلاد، وتحطيم الاقتصاد والتسبب بخراب بيئي واسع. وتكون المحصلة النهائية إدراكاً متزايداً بأن فوائد شئ عصيان مسلح قد لا تبرر الأكلاف.

وهناك عامل آخر يدعم اللا عنف يتمثل في ميل الحركات المسلحة المنتصرة ضد السلطات الاستبدادية، بعد أن تصبح في السلطة، إلى التخلف عن إنشاء أنظمة سياسية تعددية، ديمقراطية، مستقلة، وقادرة على دعم التطورات الاجتماعية والاقتصادية وتعزيز حقوق الإنسان. هذه العيوب تنتج عادةً جزئياً بسبب الثورات المضادة، والكوارث الطبيعية، والتدخل الأجنبي، والحظر التجاري، وظروف أخرى خارجة عن سيطرة الحركة الشعبية المنتصرة.

لكن اختيار الكفاح المسلح كوسيلة للاستيلاء على السلطة

وحتى مؤسساتية.

وفي الواقع شهدت السنوات الثلاثين الماضية اندفاعاً ملحوظة لحركات العصيان اللا عنفي ضد حكام استبداديين. كانت حركات "قوة الشعب" اللا عنفية مبدئياً مسؤولة عن تقدم التغيير الديمقراطي في حوالي 60 دولة خلال هذه الفترة، وفرضت إصلاحات ذات شأن في دول عديدة. كما طرحت حركات كفاح أخرى، رغم قمعها في نهاية المطاف، تحديات خطيرة بوجه حكام مستبدين آخرين.

وبخلاف حركات الكفاح المسلح، شكلت حالات العصيان اللا عنفي هذه حركات مقاومة شعبية منظمة ضد السلطة الحكومية التي تحاشت إما عن إدراك أو لمجرد الضرورة، استعمال أساليب الحروب الحديثة.

وعلى عكس الحركات السياسية التقليدية، تستخدم الحملات اللا عنفية عادةً تكتيكات من خارج

إطار العمليات السياسية السائدة المتعلقة بالمشاركة في الانتخابات وجماعات الضغط. قد تشمل التكتيكات الإضرابات، المقاطعة، المظاهرات الجماهيرية، المناقشات الشعبية في الأماكن العامة، رفض دفع الضرائب، وتدمير رموز سلطة الحكومة (مثل بطاقات الهوية الرسمية)، ورفض الإذعان للأوامر الرسمية (مثل قيود منع التجول)، وإنشاء مؤسسات بديلة للشرعية السياسية والتنظيم الاجتماعي.

### لماذا ينجح اللا عنف

ساد الافتراض لسنوات عديدة ان الأنظمة الاستبدادية يمكن إسقاطها فقط من خلال الكفاح الشعبي المسلح أو التدخل العسكري الأجنبي. ولكن هناك وعياً متزايداً بأن العمل اللا عنفي يمكن أن يكون أكثر قوة بالفعل من العنف نفسه. أظهرت دراسة جامعية حديثة لـ 323 عسائناً رئيسياً لدعم تقرير المصير والتحرر من الحكم الاستبدادي خلال القرن الماضي ان حملات المقاومة الرئيسية اللا عنفية كانت ناجحة بنسبة 53 بالمئة من الحالات في حين نجحت فقط بنسبة 26 بالمئة من حملات المقاومة العنيفة. (ماريا جاي ستيفان واريك شينويت. "لماذا تنجح المقاومة المدنية: منطق النزاع اللا عنفي"، مجلة انترناشونال سيكيوريتي، المجلد 33، العدد 1، صيف عام 2008).

هناك عدة أسباب وراء ابتعاد حركات العصيان عن الكفاح المسلح والاتجاه نحو اعتناق العمل اللا عنفي. أحد الأسباب كان الوعي المتزايد للكلفة المتعاظمة لحروب التمرد المسلح. وفرت التكنولوجيا الحديثة لسلطات الوضع الراهن ميزة متزايدة في السنوات الحديثة لدر، أو على الأقل لتحديد، أخطار عمليات

اختلافات بشأن كيفية التعامل بفعالية مع المقاومة، لأن عدداً قليلاً من الحكومات يكون مستعداً للتعامل مع حركات التمرد غير المسلحة بنفس الطريقة التي تكون فيها الحكومات مستعدة لسحق حركات التمرد المسلحة. القمع العنيف لحركة سلمية قد يُغيّر في أحيان كثيرة من الإدراك الحسي لدى عامة الناس وأفراد النخبة لشرعية السلطة، ولهذا السبب يستعمل مسؤولون في الدولة درجة أخف من القمع ضد الحركات اللاعنفية. علاوة على ذلك، فإن بعض العناصر المؤيدة للحكومة تصبح أقل قلقاً حول عواقب إجراء تسويات مع المتمردين في حال كانت مقاومتهم غير عنيفة.

كما أن الحركات غير المسلحة تزيد أيضاً من احتمال حصول الانشقاق وعدم التعاون من جانب رجال الشرطة والأفراد العسكريين الذين ليس لديهم ما يدفعهم للمواجهة. أما الثورات المسلحة فإنها تُضفي الشرعية على دور الجهاز القمعي الحكومي وتعزز إدراكه الحسي الذاتي بأنه حامٍ للمجتمع المدني. القوة المعنوية للاعنف أمر حاسم في قدرة أي حركة معارضة على إعادة تأطير الإدراكات الحسية للأطراف الأساسية: عامة الناس، والنخبة السياسية، والقوات المسلحة الذين لا يجد معظم أفرادها أية صعوبة في دعم استعمال العنف ضد التمردات العنيفة.

إن فعالية أي مقاومة لا عنيفة في إحداث انقسام في صفوف داعمي الوضع الراهن ظاهرة ليس فقط في جعل القوات الحكومية أقل فعالية، بل وأيضاً في تحدي مواقف الدولة بكاملها وحتى الأطراف الأجنبية، كما حصل في كفاح جنوب أفريقيا ضد التمييز العنصري. فقد أضفت صور المتظاهرين المسالمين، ومن بينهم البيض ورجال الدين وغيرهم من "المواطنين البارزين"، والتي تم بثها على الأقبية التلفزيونية في العالم، الشرعية على قوى مكافحة التمييز العنصري، وشوهت سمعة حكومة جنوب أفريقيا بطريقة لم تتمكن الثورة المسلحة من تحقيقها. ونظراً لتسارع قوة المقاومة اللاعنفية داخل البلاد، فإن أعمال الضغط الخارجي التي تمثلت بالعقوبات الاقتصادية والتكتيكات التضامنية الأخرى التي اتخذها المجتمع الدولي زادت من أكلاف المحافظة على نظام التمييز العنصري.

وبسبب الاعتماد العالمي المتزايد، قد تكون أهمية الجمهور غير المحلي للنزاع بنفس أهمية المجتمع المحلي المباشر. وكما تصرف غاندي باجتذاب المواطنين البريطانيين في ماننستر ولندن، كان منظمو حركة الحقوق المدنية في جنوب الولايات المتحدة يتواصلون مع كافة مواطني البلاد، وبالأخص بإدارة الرئيس جون كينيدي.

أما أخبار التمرد داخل الكتلة السوفياتية فقد تم توزيعها عبر البرامج التلفزيونية التي تنشر الأنباء من بلد إلى بلد، مضمّنة الشرعية على الاحتجاجات المحلية التي لم تعد تبدو وكأنها

يميل إلى مفارقة حدة هذه المشاكل ويخلق اضطرابات خاصة به. في المقام الأول، يشجع الكفاح المسلح في أحيان كثيرة روحية النخبة البشرية السرية الطليعية، ويقلل من أهمية الديمقراطية ويخفف التسامح تجاه التعددية. في أحيان كثيرة تؤدي الاختلافات التي يمكن حلها سلمياً في المؤسسات اللاعسكرية إلى قتال دموي بين الفصائل المتعددة. فقد واجهت بعض الدول انقلابات أو حروباً أهلية بعد وقت غير طويل من تمكن حركات ثورية مسلحة من طرد المستعمرين أو خلع الحكام الاستبداديين المحليين. وأصبحت دول أخرى تعتمد بدرجة مُفرطة على سلطات أجنبية للبقاء في السلطة.

كما أن هناك أيضاً وعياً متزايداً بأن المقاومة المسلحة تميل إلى إثارة قلق العناصر المترددة من السكان الذين يسعون بالنتيجة إلى التمسك بالأمن عبر الحكومة. فعند مواجهة تمرد عنيف، تستطيع أي حكومة بسهولة تبرير القمع الذي تقوم به، ولكن استعمال القوة ضد حركات المقاومة غير المسلحة يخلق عادةً تاييداً أعظم لمعارضتي الحكومة. قام بعضهم بمقارنة هذه الظاهرة بقتال الياباني "أيكيديو"، من حيث أن حركة المقاومة تعزز من سلطة القمع الحكومي لتدفع قُدماً بالغايات النهائية للحركة.

تبنى كنف وغاندي اللاعنف في المبدأ والاستراتيجية على حد سواء

وعلاوة على هذا، تشمل الحملات غير المسلحة عدداً أكبر من المشاركين يتعدى الرجال الشباب الأصحاء جسدياً الذين يتواجدون عادةً في صفوف العصابات المسلحة، وتستفيد من دعم الأكثرية الشعبية للحركة. تشجع المقاومة غير المسلحة أيضاً إنشاء مؤسسات بديلة، الأمر الذي يقوض إضافياً الوضع الراهن القمعي ويشكل الأساس لقيام نظام ديمقراطي جديد ومستقل.

لكن المقاومة المسلحة تُعطي أحياناً عكس النتائج المرجوة، وذلك من خلال إضفاء الشرعية على استعمال تكتيكات قمعية. ففي أحيان كثيرة تُرحب الحكومات الاستبدادية بالعنف الصادر عن المعارضة، وحتى أنها تشجع ذلك من خلال استخدام عملاء محرضين لأنها تستطيع بذلك تبرير القمع على يد الدولة. إلا أن عنف الدولة الذي تطلقه ضد المعارضين غير المسلحين فإنه كثيراً ما يُنتج نقطة تحول في أعمال الكفاح اللاعنفية. فهجوم الحكومة على المتظاهرين المسالمين قد يُشكّل الشرارة التي تشعل فتيل تحويل المظاهرات الدورية إلى عصيان مسلح كامل النطاق.

## زرع التفارقة

تميل حركات المقاومة غير المسلحة أيضاً إلى زرع التفارقة ضمن الدوائر المؤيدة للحكومة. فكثيراً ما تكون هناك

بعض الأنظمة الاستبدادية وجود شرعية شعبية لهذه الحركات المناصرة للديمقراطية، وذلك من خلال الادعاء بأنها ليست أكثر من "انقلابات لينة" خططت لتنفيذها الولايات المتحدة أو الدول الغربية الأخرى. لا يستطيع مثل هذا التمويل الخارجي أن يحدث ثورة ديمقراطية ليبرالية لا عنفية، مثلما لم يستطع الدعم السوفياتي المالي والمادي للحركات اليسارية في العقود السابقة أن يحدث ثورة اشتراكية مسلحة في بلدان أخرى. لاحظ أحد البورميين الناشطين في حق حقوق الإنسان، وهو يشير إلى تقليد يعود إلى قرون عديدة خلت لناحية اعتماد بلاده للمقاومة الشعبية، كيف أن فكرة قيام الأجنبي بتنظيم شعب بورما للمشاركة في حملة لا عنفية، هي بمثابة "تعليم جدتي كيف تُفسر البصل".

الثورات الناجحة، مهما كانت توجهاتها الأيديولوجية تأتي نتيجة ظروف موضوعية معينة. بالفعل، لا تستطيع أية كمية من المال إجبار مئات الآلاف من الناس على ترك أعمالهم، ومنازلهم، ومدارسهم، وعائلاتهم لمواجهة رجال شرطة مدججين بالسلاح والذبابات الحربية ووضع أجسادهم في خط النار ما لم يكن لديهم دافع صادق للقيام بذلك.

شجعت الدول الأجنبية تاريخياً إحداهن تغييرات في النظام من خلال الغزو العسكري والانقلابات العسكرية، وغير ذلك من أنواع الاستيلاء العنيف على السلطة لتنصيب أقلية غير ديمقراطية في الحكم. وبالمقابل، فإن حركات قوة الشعب غير العنيفة، تجعل التغيير ممكناً من خلال تمكين القدرة للأكثرية المؤيدة للديمقراطية.

ليست هناك صيغة معيارية لنجاح يمكن لأي حكومة أجنبية أو منظمة غير حكومية أجنبية أن تحدها لأن التاريخ، والثقافة، والاصطفافات السياسية لكل دولة تكون فريدة من نوعها. ولا تستطيع أي حكومة أجنبية أو منظمة غير حكومية أن تحشد أو تُجند أعداداً ضخمة من المواطنين الاعتياديين لبناء حركة قادرة على التحدي الفعال للقيادة السياسية القائمة، وبدرجة أقل بكثير، التمكن من قلب نظام الحكم.

ونتيجة لكل ذلك، فإن الأمل الأفضل لدفع الحرية والديمقراطية قُدماً لدى الدول المظلومة في العالم لا يأتي عن طريق الكفاح المسلح ولا يكون عن طريق تدخل دول أجنبية بل عن طريق منظمات المجتمع المدني الديمقراطي المشاركة في عمل لا عنفي استراتيجي.

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعكس بالضرورة وجهات نظر أو سياسة الحكومة الأميركية

أحداث منعزلة ينظمها معارضون غير مستقرين. وكان هناك دور بارز لوسائل الإعلام العالمية خلال حركة قوة الشعب المعارضة لفرديناند ماركوس عام 1986 في إجبار الحكومة الأميركية على تخفيض دعمها للدكتاتور الفلبيني. القمع الإسرائيلي للمظاهرات الفلسطينية اللاعنفة خلال الانتفاضة الأولى في أواخر الثمانينات من القرن الماضي لاقت تعاطفاً دولياً غير مسبوق لكفاحهم ضد الاحتلال العسكري الأجنبي. وكما لاحظ الكاتب الفلسطيني الأميركي، رشيد الخالدي، "نجح الفلسطينيون في نهاية المطاف في نقل حقيقة كونهم ضحايا إلى الرأي العام العالمي."

وكمكون تفاعلي في المقاومة اللاعنفة، فإن إنشاء الهيكليات البديلة للحكم يوفر أساساً معنوياً وعملياً للجهود الهادفة إلى تحقيق تغيير اجتماعي أساسي. ويمكن للهيكليات المتوازية في المجتمع المدني أن تجعل سيطرة الدولة ضعيفة، كما فعلت ذلك عبر مجمل أوروبا الشرقية مما أدى إلى أحداث عام 1989.

خسر فرديناند ماركوس منصبه في الفلبين عام 1989 ليس بفعل هزيمة قواته والهجوم الخاطف على قصر مالاكانانغ، بل بسبب سحب الدعم الكافي لسلطته بحيث أصبح القصر الجزء الوحيد من البلاد الذي يستطيع السيطرة عليه بفعالية. ففي نفس يوم أداء ماركوس اليمين الدستورية لتولي فترة رئاسية إضافية للبلاد، كانت خصمه كورازون أكيو، أرملة منتقد كارلوس اغتيال بسبب انتقاده، تحلف اليمين الرمزية كرئيسة للشعب. ونظراً لأن معظم الفلبينيين اعتبروا أن انتخاب ماركوس كان انتخاباً مزوراً، قدمت الأكثرية العظمى ولاءها إلى الرئيسة أكيو بدلاً من الرئيس ماركوس. انتقال الولاء من مصدر سلطة وشرعية إلى مصدر آخر يُشكّل عنصراً رئيسياً للانتفاضات الناجحة اللاعنفة.

على مسار أي ثورة لا عنفية ناجحة، وعند وجود مشاركة شعبية كافية، يمكن انتزاع السلطة السياسية بالقوة من الدولة وإنطتها بمؤسسات للمجتمع المدني بينما تنمو فعالية وشرعية هذه المؤسسات الموازية للدولة. قد تصبح الدولة ضعيفة بدرجة متزايدة ولا علاقة لها بمجريات الأمور عندما تتولى المؤسسات غير الحكومية الموازية قسماً متزايداً من مهمات حكم مجتمع، وتأمين الخدمات إلى الناس، وإيجاد مرادفات وظيفية لمؤسسات الدولة.

## الجدور الأصلية

مستشهدة، بالدعم المالي الذي قدمته بعض المؤسسات الخارجية الممولة من حكومات غربية إلى بعض مجموعات المعارضة التي شاركت لاحقاً في ما سمي بالثورات اللونية لدى دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي السابق، فقد أنكرت

# الفكر اللاعنفي عبر التاريخ الأميركي

آيرا تشيرنوس



© Bettman/Corbis

الاحتجاجات اللاعنفية ضد حرب فيتنام في الستينات من القرن الماضي حذت حذو حركة الحقوق المدنية.

والقوة لممارسة العنف، لكنهم قرروا بكل حرية عدم اللجوء إليه مهما كانت الظروف. لقد اتبعوا طريق اللاعنفي المبدي. ومع ان الكثيرين ألهمهم نبؤي اللاعنفي المبدي لأسباب عاطفية او ثقافية، إلا أنهم تأثروا أيضاً بالتقاليد الثقافية الغنية التي تُقدّم حججاً منطقية لمُناصرة اللاعنفي.

التقليد الفكري ينساب كما لو كان تيارا تحت الأرض عبر مجمل التاريخ الأميركي. فجزوره تعود إلى المسيحيين المؤمنين بتجديد المعمودية في أوروبا القرن السادس عشر، وهي الحقبة التي بدأت فيها المسيحية البروتستانتية. كان هؤلاء المسيحيون القائلون بتجديد المعمودية ينبذون العنف لأنهم التزموا البقاء منفصلين عن المجتمع السائد الرئيسي ونزاعاته المتعددة. وقد أتى بعض المتحدرين منهم إلى الولايات المتحدة حيث أسسوا ما عُرف بكنائس السلام التاريخية.

جاءت المساهمة الأميركية المُميّزة عندما قرر مسيحيون آخرون، كانوا منخرطين بعمق في نزاعات المجتمع، السعي وراء التغيير السياسي والاجتماعي عن طريق استخدام وسائل

التقاليد الفكرية للفكر والعمل اللاعنفي، ذات الجذور في أوروبا القرن السادس عشر، تطوّرت في الولايات المتحدة في القرنين التاسع عشر والعشرين ثم انتقلت من هناك إلى آسيا وأفريقيا.

آيرا تشيرنوس أستاذة في الدراسات الدينية في جامعة كولورادو في بولدر، وهي مؤلفة كتاب "اللاعنف الأميركي: تاريخ فكرة".

عندما يُقرّر الناس إحداث تغيير اجتماعي، عليهم أن يقرروا ما إذا كانوا سيستخدمون العنف لتحقيق غاياتهم. بعض الذين يختارون اللاعنفي قد لا يكون لديهم اعتراض على العنف من حيث المبدأ. إنهم يعتقدون فقط ان العنف لن ينجح في تحقيق أهدافهم، أو يخشون التعرّض للأذى، أو ليس بمقدورهم إقناع الآخرين بالانضمام إليهم في العمل العنيف. فاللاعنف بالنسبة لهم هو عمل ملائم وسهل، أو هو ما يسمى باللاعنف العملي.

لكن عبر القرون، كان هناك العديد ممّن كان بإمكانهم تحقيق أهدافهم عبر العنف، أي توفرت لديهم الوسائل والشجاعة

قد انطلقت أصلاً من بلدهم.

كان اللاعنف بالنسبة لغاندي مسألة نيّة أكثر مما كان سلوكاً فعلياً. فقد عرّف "العنف" على أنه النيّة لإكراه إنسان آخر على عمل شيء لا يريد الآخر أن يفعله. الأعمال اللاعنفية، مثلها مثل المقاطعة، والحصار، وعصيان القوانين قد تبدو انها إكراهية، لكن إذا مورست بروح اللاعنف الحقيقية، تكون مجرد طرق لإتباع الحقيقة الأخلاقية كما يراها المرء. كما أن الذين يمارسونها يتركون للأخرين حرية الاستجابة لعلهم بالطريقة التي يختارونها. يقول أحد أتباع اللاعنف على طريقة غاندي، وبنفس روحية ثورو، "أنا أقوم بما أشعر ان علي ان أقوم به. والآن، بإمكانك أنت أن تفعل ما تشعر ان عليك القيام به.



وندل فيليبس. المُنادي بإلغاء الاسترقاق. يلقي خطاباً ضد العبودية في مجلس عموم بوسطن في نيسان/أبريل 1851.

بإمكانك سجنني، وضربي، أو حتى قتلي. لكن ليس باستطاعتك سلبني حريتي أو حرمانني من أن أكون صادقاً مع ضميري". اعترف غاندي بأنه كان يدعو الناس إلى العمل حسب نظرهم الشخصية إلى الحقيقة. فما من أحد يمكنه معرفة كل الحقيقة، كما كان يقول، وعلينا أن نكون منفتحين تجاه إمكانية أن نرى لاحقاً اننا كنا على خطأ. ولهذا السبب لا يجوز أبداً ان نهدف إلى فرض وجهات نظرنا على الآخرين. لكن يجب أن نتخذ لأنفسنا موقفاً ثابتاً، وحتى لغاية الموت، حول الحقيقة حسبما نراها الآن. عندها فقط يمكننا الاكتشاف بأنفسنا ما هي الحقيقة في أي حالة مُعيّنة من الحالات.

وطالما ان اللاعنف المبدئي يعني عدم الإكراه، فان الناس الملتزمين باللاعنف يؤمنون بأنهم لن يحاولوا أبداً جعل وضع ما يتحول إلى الطريقة التي يريدونها. انهم لا يعملون لأغراض أنانية ولكن لصالح العالم أجمع كما يرونه. فالواقع، وفقاً لغاندي، ان هؤلاء الناس يجب ان لا يقلقوا أبداً بشأن نتيجة أعمالهم. عليهم مجرد التأكد بأنهم يقومون بعمل الشيء الصحيح أخلاقياً

لاعنفية فقط. بدأت هذه العملية أيام الاستعمار، قبل أن تُعلن الولايات المتحدة استقلالها عن بريطانيا، بين أعضاء جمعية "الأصدقاء" المعروفة بالكويكرز. قاد التزام هؤلاء باللاعنف بعضاً منهم إلى معارضة دفع ضرائب الحرب، واسترقاق الأميركيين الأفارقة، واضطهاد وتهجير الشعوب الأميركية الأصلية. لكن الكويكرز كانوا بالدرجة الأولى مجموعة دينية قادت معتقداتها إلى اللاعنف.

نقطة التحول الكبرى جاءت في العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر عندما بدأت مجموعة تنتمي إلى خلفيات دينية مختلفة تُطالب بإلغاء الاسترقاق في الولايات المتحدة. كان هؤلاء المطالبون بالإلغاء جميعهم تقريباً من المسيحيين، ولم يكونوا جميعهم مُلتزمين السعي وراء أهدافهم بوسائل لاعنفية. لكن الملتزمين منهم شكلوا أول مجموعة حول هدف التغيير السياسي الاجتماعي ثم اختاروا اللاعنف كوسيلة لهم. كانوا يؤمنون بالله الحاكم الأسمى للكون. لذلك، قالوا انه لا يجوز مطلقاً لأي إنسان أن يمارس سلطة على إنسان آخر. وعلى هذا الأساس شجوا الاسترقاق. لكن لما كان العنف دائماً هو الطريق لممارسة السلطة، فقد انقادوا بصورة منطقية إلى نبد العنف أيضاً.

هذا الخط من التفكير نفسه كان له تأثير على كاتب المقالات الكبير هنري ديفيد ثورو، فجعله يدخل السجن بدلاً من دفع الضرائب لحكومة كانت تدعم الحرب والرق. ففي مقالته الشهيرة سنة 1849، "العصيان المدني"، شرح ثورو انه لن يُطيع أبداً قانوناً ظالماً بصرف النظر عن العقوبة التي سوف يتلقاها، لأن على الناس إتباع ضمائرهم بدلاً من أن يتبعوا كل مطالب الحكومة دون اعتراض. كان هدف ثورو الرئيسي الحفاظ على فضائله الأخلاقية الخاصة وحرية في التصرف وفقاً للحقيقة كما يراها هو. لكنه أشار أنه لو كان هناك عدد كاف من الناس الذين يرفضون إطاعة القوانين الظالمة، فسوف يكون بإمكانهم "تعطيل آلة" الدولة.

### تولستوي وغاندي

ألقي وندل فيليبس، المُنادي بإلغاء الاسترقاق، خطاباً ضد العبودية في مجلس عموم بوسطن في نيسان/أبريل 1851.

كتابات المنادين بإلغاء الاسترقاق، كما كتابات ثورو، ألهمت الكاتب الروسي الكبير ليو تولستوي الذي أصبح مدافعاً غيوراً عن اللاعنف المسيحي. فقد ساعدت كتاباته، بدورها، في صياغة أفكار أعظم نشطاء اللاعنف على الإطلاق، وهو زعيم الحركة الاستقلالية الهندية، مُهندس ك. (المهاتما) غاندي. وفي القرن العشرين، انتقلت أفكار تولستوي وغاندي إلى الولايات المتحدة وألهمت العديد من الأميركيين الذين لم يعرفوا في معظم الأحيان أن الكثير من نظرية اللاعنف

في كل وقت. فاتباع الحقيقة الأخلاقية هي في أن واحد الوسيلة والهدف للاعنف، فالعملية الصحيحة تكون هي الهدف. لذا، لا يجوز الحكم على اللاعنف من خلال قدرته على إعطاء نتائج.

أشهر مُناصر للاعنف في الولايات المتحدة كان د. مارتن لوثر كينغ جونيور، المتحدث الكبير باسم الحقوق المدنية للأميركيين الأفارقة في الخمسينات والستينات من القرن الماضي. اتفق كينغ مع غاندي على أن أعمال اللاعنف يجب اتخاذها دائماً بسبب الهواجس المتعلقة برفاهية جميع الناس، بمن فيهم الظالمون والمستبدون. فأعلن يقول، "إننا عالقون في شبكة لا مفر منها من التآزر المشترك، ونحن مرتبطون في ثوب واحد من المصير. فكل ما يصيب الواحد مباشرة، يُصيب الجميع بصورة غير مباشرة".

ولكن، خلافاً لغاندي، كان كينغ يعير اهتماماً لنتائج أعماله. كان يحكم على استراتيجيات حركة الحقوق المدنية ليس حسب قيمتها الأخلاقية الداخلية فحسب، بل وأيضاً حسب فعاليتها في إنهاء التمييز ضد الناس السود. كان يريد إثارة النزاع وتحقيق انتصارات سياسية.

لكن طالما كان يعمل المرء بطريقة لاعنفية في سبيل العدالة والمساواة، كما قال كينغ، فإن النزاع سوف يثمر عدالة وسلاماً أكثر لكل إنسان. وهكذا، كان يرى انه ما من تضارب بين نجاح الفرد وفائدة المجتمع: "نحن في وضع محظوظ يلتحم فيه أعمق شعورنا الأخلاقي مع مصلحتنا الذاتية". ويضيف، حتى وعندما لا تنتج أعمالنا اللاعنفية المواجهات والضغوط، وطالما كانت دوافعنا هي الحب غير الأناني المُقدّم بالتساوي لطرفي النزاع، فإننا نعمل لأجل خلق الانسجام بين الطرفين وتحسين حياة الجميع. كان غاندي سيوافق على هذه النقطة بكل تأكيد.

## نتائج اللاعنف

أثبتت حركة الحقوق المدنية ان بإمكان اللاعنف تحقيق النتائج إذا اختار المرء الحكم عليها حسب هذا المعيار. في الستينات من القرن الماضي، قامت حركة اللاعنف لإنهاء حرب فيتنام، والتي استلهمت إلى حد كبير عملها من نجاحات نشطاء حركة الحقوق المدنية، بلعب دور هام في إقناع الحكومة الأميركية بسحب قواتها من فيتنام.

حتى الستينات من القرن الماضي، كانت المعتقدات الدينية المسيحية هي التي تُحرّك معظم الأميركيين الذين التزموا

مبدأ اللاعنف. لكن حركة الاحتجاج على حرب فيتنام جاءت بالكثيرين ممن لم يكونوا مسيحيين. فقد نمت بصورة ملحوظة "زمالة السلام اليهودية" (التي تأسست سنة 1941). كما قامت حركة سلام بوذية ناشئة كانت تسيّر حسب تعاليم تيتش نهات هان، ولاحقاً، الدالي لاما.

لقد اجتذب اللاعنف أعداداً أكبر من الأميركيين الذين ليست لهم انتماءات دينية. كانوا يجدون الإلهام في كتابات باربرا ديمينغ، المناصرة لحقوق المرأة. فقد كتبت ديمينغ ان اللاعنف هو بالضرورة قسري. لكنه لا يجبر الناس سوى على التوقف عن فعل الأشياء التي ليس لهم حق أخلاقي في فعلها. فهو لا يمس حرية الناس في فعل أي شيء لهم الحق بفعله. وهكذا، فإن اللاعنف هو أكثر طريقة فعالة لإجراء تغييرات اجتماعية وسياسية دائمة لأنه الأقل احتمالاً في استعداء الناس الذين يجبرون على التغيير.

منذ ستينات القرن الماضي، شهدت الولايات المتحدة اهتماماً متنامياً باللاعنف المبدئي المطبق في عدة قضايا سياسية، وان كان لا يزال لا يضم سوى أقلية صغيرة جداً من الناس الملتمزين به.

لقد ساعدت الحركات اللاعنفية في الولايات المتحدة أيضاً في بروز الكثير من الحركات المشابهة لها حول العالم. وحققت هذا الحركات تحسينات كبرى في الظروف المعيشية للناس، وعلى وجه الخصوص، في قلب الأنظمة الاستبدادية التي كانت قائمة في أوروبا الشرقية والفيليبين. وساعد نشطاء اللاعنف في إنهاء النزاع الطويل والمرير في أيرلندا الشمالية، وغواتيمالا، وتيمور الشرقية، من جملة أماكن أخرى. والحركة نشطة الآن على عدة جبهات في مناطق النزاعات حول العالم. تقف الولايات المتحدة اليوم، غير النظرة الطويلة للتاريخ، في وسط عملية جارية للتغيير الاجتماعي والسياسي اللاعنف.

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعكس بالضرورة وجهات نظر أو سياسات الحكومة الأميركية.

توليد التغيير على المستوى الشعبي

## ما الذي يقوم به منظمو المجتمعات الأهلية؟

كاثي بارتريج



© AP Images/Nam Y. Huh

مُنظّم المجتمعات الأهلية، ديفيد ويلسون، يتحدث مع سكان شيكاغو حول الهواجس الإسكانية.

أما في الواقع، فإن عمل مُنظّم المجتمعات الأهلية ينطوي على مسؤوليات حقيقية.

دعونا نبدأ بقصة: بعض نساء أحد الأحياء ذهبن لمقابلة "منظم المجتمع الأهلي" الجديد. كنّ قد سمعنّ انه يُصلح الأشياء، كما كنّ يشاهدون بكل تأكيد الكثير من الأشياء الخاطئة في الحي، مثل مدارس رديئة، بيوت للمخدرات، شوارع قذرة، عناية صحية مُتردية، وأكثر من ذلك. بعد جلوسهن في المكتب البسيط المكتظ، بدأن بصب شكاويهن، بينما ظل ذلك المنظم مصغياً.

قال، "هذه بكل تأكيد بعض المشاكل." "حسناً، ماذا تنوي أن تفعل بشأن ذلك؟" سألن بإصرار.

صُعقت النساء لدى سماع الجواب: "لا شيء". ثم واصل المنظم، "هذه ليست مشاكلي، هذه مشاكلكن. دعونا نتحدث عما

استعمل ملايين المواطنين الأميركيين مُنظّم المجتمعات الأهلية ليتعلموا كيفية الضغط على الحكومات للقيام بالشيء الصحيح.

كاثي بارتريج مديرة تنفيذية في مؤسسة إنترفيث فاندروز، وهي شبكة من مُقدمي الهبات المتدينين والعلمانيين الذين يعملون لأجل تقديم تنظيم المجتمعات الأهلية على أساس انتماءات المواطنين للديانات المختلفة.

خلال حملة الانتخابات الرئاسية لباراك أوباما سنة 2008، ذكر المرشح خبرته كمُنظّم للمجتمعات الأهلية في شيكاغو ليثبت بأنه يفهم مشاكل الناس العاملين العاديين.

وقال منافسوه أن تنظيم المجتمعات الأهلية يفتقر إلى "المسؤولية الحقيقية" المُتمثلة بمسؤولية رؤساء البلديات أو حكام الولايات.



سيزار شافيز قبل التحدي وقاد اتحاد نقابة عمال المزارع في مجتمعه.

سوف تعملن أنتنّ بشأنها".

هذه القصة الحقيقية تُلخص ما يفعله مُنظم المجتمعات وما لا يفعله. فمُنظم المجتمعات الأهلية لا "يصلح الأشياء"، وهو لا يقدم الخدمات أو يُلقي خطابات مثيرة للإعجاب. بل يتناول مُنظم المجتمعات هذه المشاكل والتظلمات التي تُعاني منها المجتمعات ذات الدخل المتدني والمتوسط عن طريق مساعدة الناس في العمل سوية للقيام بأنفسهم بالتعبير. هذه العقيدة الأساسية هي القاعدة الجديدة للتنظيم: "لا تفعل أبداً للأخرين ما يستطيعون فعله بأنفسهم."

تنظيم المجتمعات الأهلية ممارسة

مسؤولة تهدف إلى اكتشاف وتعزيز القيادات المحلية في المجتمعات الأهلية: جمع الناس معاً لتحديد مشاكلهم وصياغة الحلول والضغط على صُناع القرار لتحسين الحياة في حي ما، أو مدينة أو مجموعة اجتماعية – اقتصادية.

### حشد القياديين

يقوم منظمو المجتمعات الأهلية بتطويع وتمكين قيادات المجتمعات بدلاً من التحول لكي يصبحوا هم المتحدثين باسمها، أو العمل على قضية ما بمفردهم. يفعلون ذلك لأنهم يعتقدون انه من بين الحقوق الديمقراطية للناس ان يكون لهم دور في تقرير القضايا التي تؤثر عليهم.

كان مُنظم المجتمعات الأهلية، فرد روس، منظماً اجتماعياً مُدرباً عمل في بعض الأحياء المكسيكية في كاليفورنيا في الستينات من القرن الماضي وشاهد الظروف المعيشية البائسة والأعمال الصعبة التي يقوم بها الناس لقاء أجر متدن. وهناك، تعرّف على سيزار شافيز، وهو شاب له أولاد. انزعج شافيز في البداية عندما طلب منه روس أن يتحول إلى قيادي. روى شافيز فيما بعد كيف أنه دعا روس لمقابلة الرجال المحليين في منزله بقصد إخافة روس من فكرة جعله منظماً اجتماعياً وواد تلك الفكرة كلياً. "لكنه بدأ يتكلم، وكلما أمعن في الكلام، كلما تفتحت عيوني فضولاً... كان هناك شابان ثملان يريدان الاعتداء على هذا الغرينغو (الأميركي الأبيض) لكننا تخلصنا منهما. كان هذا الشاب يتكلم بطريقة منطقية جداً، وأردت الاستماع لما كان لديه ليقوله."

شعر روس ان شافيز يملك موهبة قيادية للمجتمعات فعاد من جديد، مراراً وتكراراً، متحدياً شافيز للوقوف إلى جانب ما يؤمن به، حتى اقتنع شافيز أيضاً ان بمقدوره القيام بالقيادة. لقد

أصبح شافيز بعد ذلك أحد أبطال العدالة الاجتماعية وقاد اتحاد نقابة عمال المزارع التي فازت بعدة عقود منصفة مع أصحاب المزارع. كما ألهم شافيز العديد من الحركات الاجتماعية ضد حرب فيتنام، ومن أجل حقوق الأقليات والنساء.

منظمو المجتمعات الأهلية يجمعون الناس معاً لتعريف مشاكلهم. فبدلاً من تقديم خدمات اجتماعية، يتبع المنظّمون عملية جعل الناس يتحدثون مع بعضهم البعض، ويعملون بصورة جماعية حول القضايا، فيكتسبون الثقة الشخصية والمهارات الاجتماعية عبر هذه العملية.

قبل سيزار شافيز تحدي تنظيم العمال الزراعيين بدأ العمال حملة تنظيمية عن طريق التحدث إلى الناس بصورة فردية أو في اجتماعات في المنازل لاكتشاف من لديه الموهبة للقيادة ولتحديد المشاكل الرئيسية. حدّد المشاركون قيمهم ومصالحهم المشتركة بدعم من منظّم مجتمعهم الأهلي، ثم عملوا بالتضامن وعلناً في حملات للتغيير المدني.

عندما يعمل قادة المجتمعات هؤلاء معاً، فإنهم يبنون علاقات قوية مع الناس في مؤسساتهم الخاصة، مثل الكنائس والمدارس والأحياء المختلفة. وعندما يكتشفون بأنهم يتشاطرون الهواجس مع الناس في المؤسسات أو الأحياء الأخرى، فإنهم يقومون ببناء الصلات عبر حواجز الدين والطبقة والعرق. وبإمكان عملية التنظيم توليد طاقة تغيير إيجابي لدى الأفراد والجماعات والمجتمع ككل.

### المال أو الناس

وفقاً للاعتقاد الثاني لعملية التنظيم، "تأتي السلطة أما



يقوم منظمو المجتمعات الأهلية ببناء الصلات عبر حواجز الدين والطبقة والعرق. مثلما فعلوا في مدينة وارين بولاية متشيغان.

عن طريق المال المنظم أو الناس المنظمين". وبما ان المجتمعات الفقيرة لا تملك المال، فان على المنظمين الاعتماد على الناس.

عندما عاد أرنستو كورتس إلى مسقط رأسه في سان أنطونيو بولاية تكساس، في السبعينات من القرن الماضي، وأصبح غاضباً لأن الجزء الأفقر من المدينة المتحدث بالإسبانية يفتقر إلى الخدمات التي تتمتع بها الأجزاء الأخرى. والواقع ان الشوارع كانت تغمرها المياه عندما يهطل المطر لدرجة ان أحد الأطفال غرق فيها! وبصفته منظماً مُدرباً مع شبكة التنظيم القومية، "مؤسسة المناطق الصناعية" (IAF)، توجه كورتس إلى الكنائس الكاثوليكية المحلية وحث الرعايا على الضغط على حكومة المدينة للقيام بإصلاحات كبيرة في البنية التحتية للشوارع، والمجاري الصحية، كما لتحسين السلامة العامة.

يعمل المنظمون الأهليون مع قيادات المجموعات لصياغة حملات عامة فعّالة وتحويل الهواجس إلى قضايا يمكن كسبها. "جمعية المجتمعات الأهلية المنظمة للإصلاح الآن" (ACORN) لديها موقع قومي على شبكة الانترنت لأكثر من 400,000 عائلة عضو في الجمعية، الناشطة في العديد من القضايا في أكثر من 100 مدينة.

مثلاً، عندما ترك إحصار كاترينا مدينة نيو أورلينز غارقة في الماء لعدة أيام، انتشر منظمو "جمعية المجتمعات الأهلية المنظمة للإصلاح الآن" (ACORN) المحليون، الذين فقد العديد منهم منازلهم، عبر ملاجئ الطوارئ واستخدموا الهواتف الخليوية للعثور على أعضاء الجمعية المذكورة المشتتين، وتوجهوا إلى المسؤولين في المدينة والمسؤولين القوميين وأصروا على أن تكون الحكومة منصفة للناس الفقراء عند إعادة بناء المدينة. وفي حين أنهم لم يحققوا كافة مطالبهم، إلا أنهم نجحوا في تأمين الأموال المخصصة لإعادة بناء أحيائهم المُدمرة وساعدوا آلاف المقيمين في العودة إلى منازلهم.

تتم كافة أعمال التنظيم محلياً، لكن هذا لا يعني أن هذه الأعمال تبقى صغيرة. ففي مدينة سان هوزيه بولاية كاليفورنيا، تعلم منظمو المجتمعات مع شبكة PICO القومية التي تضم منظمات قائمة على الإيمان الديني، ان العديد من العائلات لم تحظ بعناية صحية بسبب الإنفاق غير الكافي في المقاطعة على العيادات الصحية العامة. فقد انتظموا عبر الكنائس المحلية للضغط على مسؤولي المقاطعة لتغيير سياستهم ثم وسعوا الحملة لتطال المجموعات الأخرى المنتسبة إلى شبكة PICO عبر كاليفورنيا. خلال عدة سنوات، عبّت شبكة PICO

بعد تحقيق بعض النجاح في سان أنطونيو، عمل كورتس في المجتمعات الفقيرة عبر سائر ولاية تكساس، من مدينة هيوستون إلى الكولونياس، أو المستوطنات الريفية، القائمة على الحدود المكسيكية، منتجاً طرازاً جديداً واسع النطاق للتنظيم الأهلي الذي وُحد العديد من المؤسسات وجعلها قادرة على العمل في قضايا على مستوى الولاية. فقد تمكن من الحصول على 8 ملايين دولار من التمويل التكميلي لبرنامج الولاية للسنة 1997-1998 لمدارس تحالف مؤسسة المناطق الصناعية (IAF) فتم إنشاء صندوق يتضمن 12 مليون دولار للتدريب على المدى الطويل للمستفيدين من برنامج المساعدات المؤقتة للعائلات المحتاجة (TANF) وتم تصميم مجموعة من السندات المالية بقيمة 250 مليون دولار على شكل سندات الولاية لتمويل نقل خدمات المياه والصرف الصحي إلى المستوطنات الريفية على طول الحدود بين تكساس والمكسيك.

منذ ذلك الوقت، حوّل كورتس مواهبه نحو لوس أنجلوس حيث شهد الاجتماع الافتتاحي سنة 2004 لمنظمة (ONE-LA) التابعة لمؤسسة المناطق الصناعية، حضره أكثر من 12,000 مشترك، وحيث بوشر بحملات تهدف إلى تنظيف مطامر النفايات السامة بالقرب من المدارس، وتحسين إنارة الشوارع، وإقرار قانون بليون دولار على شكل سندات مالية إسكانية ممكن تحمل كلفتها.

حشدتهم من بين صفوف أعضاء الجمعيات هذه، في حين يخضع آخرون للتدريب الذي تنظمه شبكات التنظيم القومية، في حرم الجامعات أو عبر الحركة العمالية. بإمكان منظمي المجتمعات الأهلية في الولايات المتحدة اليوم العمل على قضية واحدة، أو على توحيد مجموعة واحدة من الناس. غير أن حركة تنظيم المجتمعات الأهلية غالباً ما تتصدى عن قصد لقضايا متعددة، وتوحد مجموعات متعددة من الناس، وفي ما بين الأديان، وتكون عابرة للطبقات.

كسب الرئيس أوباما خبرته في التنظيم القائم على المؤسسات، التي تُشكّل اتحادات مؤلفة من مجموعات من الأعضاء، مثل الكنائس والمدارس، وحتى اتحادات كرة القدم. فقد عمل في منطقة جنوبي شيكاغو في مطلع الثمانينات من القرن الماضي، قبل دخوله كلية الحقوق، بالتعاون مع الشبكة التنظيمية القومية "المؤسسة جامليل الخيرية"، التي كانت تقدم التدريب والإشراف للمنظمات في عشرين ولاية. بعد تخرجه من كلية الحقوق، عاد أوباما إلى ولاية إلينوي وواصل صلاته بالتنظيم الأهلي. والمشهور عنه بهذا الصدد أنه تقرب من زوجته الحالية، ميشيل، عندما دعاها إلى دورة تدريب على التنظيم في طابق سفلي لإحدى الكنائس.

خلال الحملة الرئاسية سنة 2008، أعاد أوباما الاتصال ببعض قادة تنظيم مجتمعه لأجل إنشاء "حملة التغيير الفعالة التي اعتمدها، مُدخلاً إليها أدوات لتنظيم المجتمعات، مثل بناء العلاقات بين الأفراد، والاجتماعات في المنازل، وإنشاء فرق الأحياء.

خلال العقد الماضي، شهد تنظيم المجتمعات الأهلية توسعاً هائلاً بالنسبة لعدد المناطق الجغرافية والجماعات المشاركة فيه، كما بالنسبة لأنواع التكتيكات المستخدمة، والفعالية في تحسين السياسات والخدمات العامة. ويعمل تنظيم المجتمعات الأهلية الآن على مستوى هائل قلما عرفته الحركات الاجتماعية الأميركية، بمشاركة آلاف المؤسسات وملايين المواطنين المشاركين.

الأراء الواردة في هذا المقال لا تعكس بالضرورة وجهات نظر أو سياسات الحكومة الأميركية.

كاليفورنيا إنتتلاًفاً فاز بمبلغ 13.4 بليون دولار من الزيادة في التمويل للتعليم والصحة.

تعالج مجموعات تنظيم المجتمعات الأهلية تقريباً كل قضية تنطوي على ظلم وتؤثر في نوعية حياة الناس من ذوي الدخل المتدني والمتوسط: العناية بصحة الأطفال، الأجور، إصلاح قوانين الهجرة، المساكن ذات الأسعار الممكن تحملها، تحسين المدارس، الأحياء الآمنة، التدريب على الوظائف، وأكثر.

في كانون الأول/ديسمبر 2008، اجتمع أكثر من 2500 منظم للمجتمعات الأهلية مع قيادات من سائر أنحاء الولايات المتحدة في ندوة في واشنطن حيث استمعوا إلى فاليري جاريت، المستشارة الرئيسية للرئيس المنتخب أوباما. كانت لديهم مقترحات لإدخال عناصر في خطة الإنعاش الاقتصادي للرئيس المنتخب: الحؤول دون احتجاز المنازل المرهونة، والمطالبة بتنازلات من المصارف التي تتلقى مساعدات حكومية، وإصلاح نظام العناية الصحية الأميركية المُعتل، وعلى وجه الخصوص، ضمان ان يتلقى جميع الأطفال تغطية صحية، واعتماد التدريب على الوظائف التي تدفع أجوراً كافية لحياة لائقة.

## مدفوع وغير مدفوع

من أين يأتي منظمو المجتمعات الأهلية؟ يمكن أن يكونوا من المقيمين الذين يجتمعون جيرانهم مع بعضهم البعض للقيام بأعمال معينة، وهم يعملون دون أجر، فقط لمجرد قناعتهم. وكثيراً ما يكونون من القادة الدينيين المحليين، ومنخرطين في أعمال تنظيمية شعبية على نطاق صغير في كل مجتمع أهلي أميركي تقريباً.

لكن تنظيم المجتمعات الأهلية في الولايات المتحدة يمكن ان يكون أيضاً مهنة ذات راتب على النطاق الأوسع. هذا النوع من تنظيم المجتمعات جاء أصلاً من عمل الراحل سول أليينسكي، الذي صقل تقنياته مستنداً بذلك إلى تنظيم الاتحادات الراديكالية، في ساحات علف المواشي في أحياء شيكاغو في الثلاثينات من القرن الماضي. لقد جمع أليينسكي جنباً إلى جنب مجموعات إثنية مختلفة للكفاح من أجل التقديم المنصف للخدمات في المدن، بما في ذلك حماية الشرطة من الجرائم، والقروض المصرفية المنصفة.

مئات الرجال والنساء من كل الأعمار والأجناس يكسبون الآن مورد رزقهم من العمل كمنظمي مجتمعات أهلية، وتأتي أجورهم من الرسوم التي يدفعها أعضاء المنظمات التي يعملون لحسابها، كما ومن الهبات التي تقدمها الكنائس والجمعيات الخيرية الخاصة. العديد من هؤلاء المنظمين يتم

# الحملة الانتخابية الإلكترونية: حشد المتطوعين والناخبين

ديفيد تالبوت



© Karen Bleier/AFP/Getty Images

قامت حملة أوباما الرئاسية باستخدام واسع للانترنت للاتصال بالمؤيدين المحتملين.

مناقسي أوباما على الإنترنت، أي السناتور جون ماكين في الانتخابات العامة، وقبله، السناتور هيلاري رودام كلينتون في الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي.

شكلت إستراتيجية حملة أوباما على شبكة الإنترنت تطوراً طبيعياً لجذوره كمنظم للمجتمعات المحلية في شيكاغو، كما استفادت الحملة من الاهتمام الجديد الواسع الذي أحاط بالشبكات الاجتماعية القائمة على شبكة الانترنت بوجه عام.

خلال السنوات الأخيرة، اندفع مئات الملايين من الناس حول العالم نحو المواقع الإلكترونية للشبكات الاجتماعية مثل ماي سبايس، وفايسبوك، وهاي 5، وأوركوت، حيث وجدوا انها توفر طرقاً شديدة القوة والبساطة للاتصال بالأصدقاء، وتنظيم المجموعات، ومشاطرة الهوايات، والانخراط في القضايا المشتركة. وقد رسخت حملة أوباما وجودها داخل بعض هذه

أظهر انتصار أوباما في انتخابات العام 2008 ان الأدوات القائمة على شبكة الانترنت للتبرع بالمال وحشد جهود أعداد كبيرة من المتطوعين يُمكنها أن توفر قوة خارقة. ديفيد تالبوت هو مراسل رئيسي لمجلة تكنولوجي ريفيو.

أظهرت الانتخابات الرئاسية الأميركية سنة 2008 القوة الهائلة للشبكات الاجتماعية القائمة على شبكة الإنترنت في إحداث التغيير.

في عامي 2007 و 2008، استخدمت حملة باراك أوباما السياسية شبكة الانترنت استخداماً واسعاً جداً، فأنشأت نقاط اتصال للمؤيدين كي يقوموا بتنظيم أنفسهم، والتبرع بالمال، ونشر التوعية حول قضايا محددة، مثل إصلاح العناية الصحية والاتصال بالناخبين. وتم ذلك على نطاق لم يتعد كل ما حصل خلال الانتخابات السابقة فحسب بل وتخطى أيضاً عمليات



© AP Images/Susan Walsh

كوليا بتزولدت ودونا كاين. اللتان جمعتهما أدوات الاتصالات على شبكة الإنترنت. تشاركان في لقاء مجموعة ألعاب تأييداً لحملة أوباما.

جهود من العاملين في حملة أوباما مما حررهم للقيام بمهام أخرى.

بعد إعطاء عنوانك الإلكتروني للحملة، كنت تتلقى رسائل من الحملة، موقعة أحياناً من زوجة أوباما، ميشال، أو حتى من نائب الرئيس السابق آل غور، الذي خسر الانتخابات الرئاسية سنة 2000 ضد جورج دبليو بوش لكنه فاز بجائزة نوبل للسلام لجهوده في مجال الاحتباس الحراري العالمي. هذه الرسائل كانت تطالب الناس بأداء وظائف مُعيّنة مفيدة للحملة آنذاك، وربما الاتصال بالناخبين المترددين في ولايات هامة جداً مثل أوهايو وبنسلفانيا حيث كانت اتجاهات الانتخابات متقاربة جداً ولا يمكن توقع نتائجها.

وقامت الحملة بتعبئة الناس على أساس جغرافي أيضاً، مثلاً، عن طريق تزويد أعضاء موقع ماي بو بقوائم الناس الذين يقطنون على مقربة منهم والذين لم يسجلوا أسماءهم للتصويت، مع تعليمات للاتصال بهم وتسجيلهم. كما كانت الحملة تطلب من قدامى المحاربين الذين أيدوا أوباما التطوع للقيام باتصالات هاتفية. كما تم تزويد هؤلاء المتطوعين بقوائم أرقام الهواتف لقدامى المحاربين، عبر شبكة الإنترنت، للاتصال بهم في الولايات حيث كانت المنافسة شديدة. الاهتمام بقدامى المحاربين أصبح هاماً بنوع خاص لأن أوباما، الذي لم يخدم أبداً في صفوف الجيش، كان يواجه جون ماكين، المحارب القديم في حرب فيتنام الحائز على وسام وأسير الحرب السابق.

#### قواعد بيانات متعددة الوظائف

إن إتاحة الوصول إلى قواعد بيانات هائلة حول الناخبين

المواقع، من بينها، على وجه الخصوص، موقع فايسبوك، الذي تضمن شبكة هائلة من مؤيدي أوباما.

غير أن الأهم من ذلك هو أن الحملة خلقت لنفسها موقعاً خاصاً لشبكته الاجتماعية يدعى my.barackobama.com، أو ماي بو (MyBo) للاختصار. تم تصميم هذا الموقع طبقاً للحاجة المرجوة منه على يد شركة خاصة تدعى بلو ستيت ديجيتال (Blue State Digital) مقيمة في واشنطن العاصمة. جاءت النتائج مثيرة للإعجاب حقاً. فقد جمعت حملة أوباما 500 مليون دولار من التبرعات على الإنترنت من أكثر من 3 ملايين فرد. وبفضل موقع ماي بو، كما بفضل إستراتيجيات أخرى، من بينها الطلب من الناس خلال اجتماعات الحملة

الحاشدة بأن يرسلوا عناوينهم الإلكترونية في رسائل نصية إلى مركز الحملة، فقد تمكن أوباما من إنشاء جيش هائل من المتطوعين على شبكة الإنترنت. وعند نهاية الحملة، كان قد أصبح لديه قائمة تضم 13 مليون مؤيد، مع عناوين بريدهم الإلكتروني. وشكل هذا إنجازاً ضخماً جداً.

#### وفرة من الخيارات

كانت السمة المميزة لموقع ماي بو البساطة والتركيز المتواصل على حث الزوار للقيام بما يساعد الحملة. فلدَى زيارتك ماي بو، كانت تظهر أمامك تشكيلة متنوعة من الخيارات. كان بوسعك الضغط على زر للحصول على استمارة للتبرع بالمال. وكان بوسعك الضغط على زر آخر لتنظيم حفلة صغيرة لأوباما في منزلك، وإنزال منشورات الحملة من الكمبيوتر لتوزيعها على أصدقائك وجيرانك خلال الحفلة.

وفي حال لم تكن راغباً في استضافة مثل هذا الحدث، كان بوسعك العثور على حدث على مقربة من منزلك عن طريق مراجعة خرائط غوغل التي تظهر إشارات رمزية تبين الاجتماعات المتوفرة. عندما تضغط على أي من هذه الرموز يصبح بوسعك الحصول على عنوان ومعلومات الشخص المسؤول عن الاتصالات. وكان بإمكانك أيضاً بذل جهودك الخاصة لجمع الأموال للحملة وإشراك أصدقائك ومعارفك في بلوغ الأهداف التي ترسمها أنت.

وتمكنت جهود جمع الأموال للمؤيدين الموجهين ذاتياً، ضمن موقع ماي بو، من جمع 30 مليون دولار من 70,000 فرد. هذا الجزء من جمع الأموال لم يكن يتطلب، عملياً، أية



© AP Images/David Lienemann

لقاء حي لباراك أوباما مع مؤيديه في أيوا خلال حملته الانتخابية. حيث كانت هناك مشاركة حية عبر الانترنت أيضاً.

الديمقراطيين الآخرين في سباقات انتخابية أخرى، مرتبطة بقاعدة البيانات المُحسنة هذه بطرق قوية جداً. نتيجة لذلك، وعندما أصبح باراك أوباما مرشح الحزب الديمقراطي، كان بإمكان أي متطوع عادي، سواء كان يقوم بتسجيل نفسه على موقع ماي بو، أو يتصل بالموقع من خلال المرشحين الديمقراطيين الآخرين، أو يتصل بالموقع من خلال الموقع الخاص للجنة القومية الديمقراطية، الضغط على زرّ إنزال وطبع مجموعات صغيرة من أسماء وأرقام هواتف الناخبين من قاعدة بيانات فان. وبالتراافق مع هذه القائمة كان يتوفر نص يسأل الناخبين عن آرائهم واستمارة على شبكة الإنترنت لتسجيل أجوبتهم عليها.

أجريت ملايين الاتصالات من المؤيدين العاديين خلال الحملة التمهيدية. بالإضافة إلى ذلك سمحت أدوات ماي بو للمتطوعين إنزال استمارات تسجيل الناخبين، المُصممة خصيصاً لكل ولاية أميركية، كما قد تدعو الحاجة، وكانت هذه الاستمارات للأشخاص الموجودين على قاعدة البيانات المعروف انهم غير مُسجلين لكنهم على الأرجح من مؤيدي أوباما استناداً إلى المعطيات الديموغرافية.

الأميركيين جعلت أدوات شبكة الانترنت هذه أقوى بكثير. فقد سبق لكل من الحزبين الديمقراطي والجمهوري ان أنفقاً منذ زمن طويل موارد ذات شأن لوضع قوائم دقيقة جداً بأسماء كل ناخب في الولايات المتحدة، إلى جانب أية بيانات يتم جمعها حول الناخب (بصورة رئيسية عبر مقابلات على الهاتف كان يقوم بها متطوعو مختلف الحملات طيلة سنوات). كانت هذه تتضمن معلومات أي حزب سياسي يُفضّله الفرد، سواء كانوا من المؤيدين الأقوياء لذلك الحزب أم فقط من المياليين إليه، وما هي القضايا التي تحوز على اهتمامهم بوجه خاص.

احتفظ كل حزب بقواعد بيانات خاصة به، وكان الجمهوريون تقليدياً أكثر انضباطاً وتنظيماً بالنسبة لحفظ قواعد بياناتهم على المستوى القومي. ولكن بين 2006 و2008، تمّ تحسين قاعدة البيانات الديمقراطية على يد شركة تدعى فوتر أكتيفيشن نتورك (فان)، Voter Activation Network (VAN)، القائمة في سُمرفيل بولاية مساتشوستس. ربطت شركة فان، المتعاقد مع اللجنة القومية الديمقراطية، قواعد البيانات من 50 ولاية أميركية مع بعضها، وبنّت طرقاً بسيطة لكي يصل المؤيدون إلى البيانات بطرق محدودة ومضبوطة عبر الشبكة. وهكذا، أصبحت ماي بو، كما مواقع المرشحين

الفريق الانتقالي على هذا الموقع أيضاً أسماء وأوراق الآراء للمجموعات التي تحاول الضغط على الفريق، وأطلقوا مزية "منفتحون على الأسئلة" حيث يستطيع الزائرون من خلالها الكتابة والتصويت على أسئلة موجهة إلى إدارة أوباما: في أسبوع واحد من شهر كانون الأول/ديسمبر، كان حوالي 20,000 فرد قد طرحوا 10,000 سؤال وأدلو بمليون صوت حولها.

لكن، في يوم تولي الرئيس المنتخب منصبه (20 كانون الثاني/يناير)، أقفلت إدارة أوباما موقع [www.change.gov](http://www.change.gov)، وأطلقت النسخة الجديدة من الموقع الرئاسي الاعتيادي [www.whitehouse.gov](http://www.whitehouse.gov). وبحلول أواخر كانون الثاني/يناير، لم يكن لدى هذا الموقع سوى عدد قليل من المزيا المتفاعلة، لكنه بدأ بنشر نصوص أوامر أوباما التنفيذية مع الوعد بأن أية تشريعات غير طارئة سوف تنشر على الموقع لمدة خمسة أيام، ومع توفير مزية يتمكن الجمهور من خلالها إضافة تعليقات قبل أن يعمد الرئيس أوباما إلى توقيع التشريع ليصبح قانوناً. وفي حين لم يُعرف حتى الآن أية مزيا إضافية سوف تضيفها الإدارة، فقد وعدت حملة أوباما باستخدام الشبكة لتزويد الملفات التي يمكن البحث فيها بسهولة عن الإنفاق الحكومي والنشاطات الأخرى، وكذلك القيام ببيت المزيد من الاجتماعات العامة على الشبكة. وكان أوباما قد أنشأ عنواناً للفيديوهات على اليوتيوب، إضافة إلى التقليد المُتبع منذ عقود في البيت الأبيض بتوجيه كلمة أسبوعية عبر الإذاعة.

من غير المُرجح أن تتجاهل أية حملة سياسية في المستقبل، أو أية حملة واسعة النطاق للتغيير الاجتماعي أو لمُناصرة قضايا أخرى، دروس العام 2008. من الممكن التوقع بأن يرد الجمهوريون بقوة خلال انتخابات الكونغرس سنة 2010 وخلال انتخابات الكونغرس والانتخابات الرئاسية سنة 2012.

أظهر انتصار باراك أوباما ان التنظيم المستند إلى شبكة الانترنت بإمكانه تحويل الناس العاديين إلى قوة تنافس المؤسسات التقليدية ومراكز القوة. وفي الواقع أن هذا الدرس أصبح يؤخذ بعين الاعتبار حول العالم. فقد فتحت شركة بلو سنتيت ديجيتال مكتباً لها في لندن لتوسيع عملياتها، كما ان موقع فان أصبح يتلقى العديد من الاتصالات من الخارج. وسوف تكون هناك تحركات مماثلة لدى بائعي قواعد البيانات المبالغين إلى الحزب الجمهوري.

من الواضح ان السياسة لن تكون هي نفسها بعد الآن. سنة 1992، اعتاد مدير الحملة تذكير المرشح الرئاسي الديمقراطي، بيل كلينتون، بالموضوع الأهم في الحملة: "إنه الاقتصاد، يا غبي". والآن، حسب قول جو تريبي، العامل الناشط في الحملات الديمقراطية منذ مدى طويل: "إنها شبكة الانترنت، يا غبي".

استخدام حملة أوباما لقاعدة البيانات يمثل هذه الفعالية، وعلى هذا النطاق الهائل، خلال عملية الانتخابات الرئاسية التمهيدية المتحركة بسرعة، ساعده على الفوز في عملية ترشيح الحزب الديمقراطي له. هذه الاتصالات بالناخبين، التي جعلتها أدوات الشبكة ممكنة، جرت أيضاً على نطاق واسع جداً خلال الانتخابات العامة في تشرين الثاني/نوفمبر، عندما واجه باراك أوباما جون ماكين. لكن الإستراتيجية كانت تتغير حسب الحاجة. مثلاً، خلال الأيام الأربعة الأخيرة للحملة، وجه متطوعو ماي بو 3 ملايين اتصالاً بالناخبين، للتأكد بالدرجة الأولى من ان المسجلين منهم سيقترعون، ومن ان الذين يفضلون أوباما فعلاً قد خرجوا من منازلهم وصوتوا.

يقول جاشا فرانكلن - هودج، أحد مؤسسي ورئيس قسم التكنولوجيا في شركة بلو سنتيت ديجيتال، ان نطاق كافة هذه العمليات تجاوز أي شيء جرى في أي حملة أخرى. شملت حملة أوباما الإلكترونية ليس موقع ماي بو وحسب، بل أيضاً الدعم القوي الذي وفرته أدوات وسائل الإعلام الجديدة الأخرى، بدءاً من الرسائل النصية عبر الهواتف الجواله ووصولاً إلى فيديوهات اليوتيوب. فقد أمضى الناس 14 مليون ساعة يشاهدون شرائط الفيديو المتعلقة بحملة أوباما على اليوتيوب، لما مجموعه 50 مليون مشاهد. وكان لأوباما أكثر من 3.4 مليون مؤيد على فايسبوك، أي ستة أضعاف ما كان لماكين.

### إستراتيجية متواصلة

كيف سيستخدم الرئيس باراك أوباما كل هذه الموارد الآن بعد أن تولي منصبه؟ يفضل كافة الاتصالات التي أجريت بالناخبين، والتي قام بها المتطوعون الذين يعملون على شبكة الانترنت، أصبح الحزب الديمقراطي يمتلك الآن عشرة أضعاف البيانات حول الناخبين الأميركيين عما كان يمتلكه قبل أربع سنوات فقط. يمكن استخدام هذه المعلومات ليس فقط في الانتخابات المستقبلية لتحسين طريقة تنظيم المؤيدين حول قضايا مُعيّنة لأجل إحداث التغيير، بل أيضاً، وبصورة محتلمة، للمساعدة في انخراط الأميركيين العاديين في الكفاح من أجل سياسات حكومية جديدة.

لكنه ليس من الواضح إلى أي حدّ سوف يتمكن الحزب الديمقراطي، أو منظمات حملة أوباما من خارج البيت الأبيض، من الاستفادة من قاعدة بيانات الناخبين أو من قائمة أوباما لعناوين البريد الإلكتروني التي تضم 13 مليون عضو لمساعدته في تحقيق برنامج عمله. في اليوم الذي أعقب فوزه في الانتخابات، أطلق فريق أوباما الانتقالي موقعاً جديداً على الشبكة <http://www.change.gov>. طلب الفريق الانتقالي، عبر هذا الموقع، من الناس التعليق على القضايا السياسية وبت فيديوهات لمرشحيه للمناصب الوزارية، وثم قام بتزويد الأجوبة على هذه التعليقات عبر اليوتيوب. ونشر

# استثمار قوة الاحتجاج

كلاي شيركي



باستخدام أدوات الاتصالات. نظم الطلاب في لوس أنجلوس مظاهرة مفاجئة ضمت 30 ألف شخص.

كان للاحتجاج عدة مظاهر ملحوظة، بدءاً بحجمه حيث شارك فيه عشرات الآلاف من الناس الذين مارسوا سوية عملاً سياسياً مُنسقاً. أما تنسيق مثل هذا الأمر في مواقع جغرافية متعددة وفي نفس الوقت، فإنه عمل يصعب تحقيقه. وما هو أصعب منه جعل طلاب المدارس الثانوية يقومون بذلك، علماً أن معظمهم لم يصلوا بعد إلى السن الذي يسمح لهم بالمشاركة في الاقتراع. والأصعب من كل ذلك هو اشتراك المهاجرين الذين قد لا يكونوا قادرين أبداً على المشاركة في الاقتراع أبداً. والأمر المدهش دون شك هو قدرة هؤلاء الطلاب على تنفيذ هذا الاحتجاج دون معرفة إدارات مدارسهم، إذ أن إبقاء هذا الأمر سراً مكتوماً بين 30 ألف شخص لم يكن يوماً إنجازاً قليلاً على الإطلاق. أما القيام بكل ذلك خلال 48 ساعة فكان لا بد أن يكون أمراً مستحيلاً. والواقع أنه كان مستحيلاً حدوثه حتى منذ سنة واحدة.

الأمر الذي ساهم في حصول هذا الاحتجاج السريع، والسري، والهائل كان تبني أدوات اتصالات جديدة، وبالأخص موقع "ماي سبيس" (الموقع الإلكتروني للشبكة الاجتماعية المتفاعلة) ورسائل SMS (الرسائل النصية عبر الهاتف). كان

أدوات الاتصالات الجديدة تقوم بإزالة العوائق بوجه العمل الجماعي للناس العاديين، وبذلك تُغيّر العالم. كلاي شيركي هو مستشار وكاتب حول التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية لتكنولوجيات الإنترنت كما يُدرّس في جامعة نيويورك. أحدث كتبه يحمل عنوان: "هنا يأتي الجميع: قوة التنظيم دون منظمات".

يوم الاثنين، 27 آذار/مارس 2006، فاجأ طلاب ثانوية في لوس أنجلوس المُدرّسين والإداريين بتنظيم انسحاب من المدرسة احتجاجاً على القانون رقم HR4437، وهو قانون كان قدّم إلى الكونغرس يقترح اتخاذ إجراءات صارمة ضد المهاجرين غير القانونيين. لم يُشكّل هذا التحرك انسحاباً اعتيادياً حيث أن عشرات الآلاف من طلاب المدارس في جميع أنحاء المدينة قد شاركوا فيه. استلهم الطلاب المنسحبون من المدارس، المتحدرون من أصول إسبانية في معظمهم، هذا العمل من احتجاج قام به راشدون في مجتمعهم الأهلي قبل يومين فقط. وهكذا خرج العديد من الطلاب من مدارسهم وانطلقوا إلى مركز البلدية حيث كانوا يوقفون حركة السير وهم في طريقهم، ما أدى إلى استعراض عام بارز جدا في سبيل قضيتهم.

الاجتماعية سوية في وسيلة واحدة، نكون قد دخلنا عالماً تُشكّل فيه كل أداة من أدوات الوسائل الإعلامية الرقمية مجتمعاً كامناً: فإن الناس المهتمين بأي جزء من الكتابة، أو الصورة، أو الفيديو سوف يكونون مهتمين في التحدث مع بعضهم البعض كذلك. والقدرة على مزامنة عدة مجموعات عبر وسائل اجتماعية واحدة تضيف مزية جديدة إلى وسائل الإعلام التقليدية. فهي لا تكون قد أصبحت مجرد مصدر للمعلومات فحسب، بل وأيضاً موقفاً للتنسيق.

أما في حالة الانسحاب الاحتجاجي للطلاب من المدارس في لوس انجلوس، فقد زوّد موقع "ماي سبيس" مكاناً للطلاب لنشر معلومات حول القانون HR4437 (وظيفة بث)، وللتحدث مع بعضهم البعض مباشرة حول القانون (وظيفة اتصال)، ولاقتراح مسار للعمل المجتمعي (وظيفة تنسيق)، وكلها مجموعة في ميدان واحد.

إذا عبرنا عن ذلك وفق المصطلحات العسكرية، فإن وسائل الإعلام الرقمية يمكنها أن تخلق "وعياً مشتركاً"، أي الشعور ضمن المجموعة ليس بأن كل عضو فيها يفهم ماذا يحدث، بل وأيضاً يكون فيها هذا الفهم متشابهاً بين الجميع، وبصورة حاسمة أكثر، يكون كل عضو يفهم ذلك أيضاً. فالوعي المشترك هو إشارة مفيدة تسبق العمل المنسق، أما القدرة على خلق وعي مشترك فتتحسن مع وسائل الإعلام التي تنقل المعلومات في الوقت الحقيقي ومع وسائل الإعلام الجوال.

هناك تطبيق حديث يُحسّن "الوعي المشترك" من خلال استعمال رسائل سريعة ورسائل عبر الهاتف الجوال، وهو موقع "تويتر"، أي تلك الخدمة التي تبث الرسائل القصيرة من هاتف او كمبيوتر شخصي إلى أي من أصدقائك المشتركين في خدمة "بث" تويتر. ومع انه من الممكن استعمال موقع تويتر لارسال أي نوع من الرسائل القصيرة، فإن هذه الخدمة نفسها تشير عليك استعمال تويتر للإجابة عن سؤال "ما الذي تفعله الآن؟"

ونتيجة ذلك، تكون معظم المحتويات على موقع تويتر في أي لحظة من اللحظات لا معنى لها. فيما يلي نموذج عشوائي للرسائل التي تبث على موقع تويتر بعد ظهر يوم خميس اخترناه عشوائياً أيضاً:

بول ديزمانغ: أنقل الأجهزة الكهربائية من مكان مستأجر إلى آخر  
راديو بالمواين: كينغ ساني آد- أرقص، أرقص، أرقص  
ليزانا: إنني أعيش يوماً سيئاً فعلاً.  
باتوراما: يبدو من المستحيل شراء قلم بريشة سوداء صنع فابركاستيل على شبكة الإنترنت. لكن أستطيع شراء مجموعة من عشرة. أعتقد أنه سوف تكون لدي أقلام إضافية.  
العديد من هذه المواقع العامة لديها هذه النوعية- الرقص

بإستطاعة الطلاب الذين كانوا مسلحين بهذه الأدوات التنسيق مع بعضهم البعض، وليس مجرد التنسيق بين شخص وآخر، بل بين مجموعات كذلك. وبنفس الأهمية تقريباً، كان وصول الرسائل المتبادلة إلى الناس المعنيين بالأمر، أي الطلاب الآخرين، دون أن تصل إلى الإداريين في المدارس.

لكن ما جعل الاحتجاج المدرسي ممكناً لم يكن متمائلاً مع جعله يحدث. والأمر الذي جعله يحدث كان شعوراً سياسياً حقيقياً: كانت لدى الطلاب رسالة يرغبون في التعبير عنها سوية وبصورة علنية. موقع "ماي سبيس" والرسائل النصية أدت إلى تقوية وقع تلك الرسالة من خلال منح أصحاب الرسائل قدرات لم يكونوا يملكونها في السابق. لكن الرسالة بحد ذاتها، أي المطالبة بالمشاركة السياسية في تقرير سياسة الهجرة، كانت شأنًا مستقلاً عن الأدوات.

رغم أن بعض الأفكار المثالية الأولى حول أدوات الاتصالات الجديدة كانت توحى بأننا متوجهين إلى نوع من الجنة التي تعقب انهيار سلطة الهيكلية الهرمية، فإن ذلك لم يحدث اليوم، وهو لن يحدث في المستقبل. ولم تختف أي من الميزات المطلقة التي تتمتع بها وسائل الإعلام المحترفة الواسعة الانتشار. بدلاً من ذلك، فإن ما حصل كان غياب معظم الميزات النسبية التي تتمتع بها هذه المؤسسات المحترفة، وذلك بالنسبة إلى وسائل الإعلام التي يسيطر عليها المواطنون مباشرة.

القصة هنا تتعلق بالقدرة الجديدة للمجموعات غير المنسقة على تحقيق نوع الأهداف التي كانت تتقاسمها دائماً مثل هذه المجموعات. بني البشر مخلوقات اجتماعية، وليس عرضياً او بالصدفة، بل على الدوام، والمجتمع ليس مُنتجاً يخلقه أفراد، إنه منتج تخلقه المجموعات التي يتكون منها أيضاً. وكلما تمكنا من تحسين قدرة المجموعة على التواصل مع بعضها البعض فإننا نغير الأشياء التي يستطيعون تنفيذها سوية.

### الكلام هو عمل من أعمال النشر

يمكننا ملاحظة تلك التغييرات في العلاقة المتبدلة بين المواطنين ووسائل الإعلام: فالقول المأثور القديم إن حرية الصحافة موجودة فقط لدى أولئك الذين يملكون صحيفة هي التي تبين أهمية الإنترنت والهواتف الجوال. ففي عالم المعلومات الرقمية، يكون الكلام هو النشر، والنشر على شبكة الإنترنت هو فتح إمكانية الاتصال مع الآخرين. ومع وصول وسيلة تصبح من خلالها عمليات إجراء الاتصالات بين الأشخاص، والبث العام، والتنسيق الاجتماعي متداخلة ببعضها البعض، تصبح حرية الكلام، وحرية الصحافة، وحرية التجمع تقوم بنفس الشيء كذلك.

مع مزج عناصر التحدث، والبث العام، والعناصر



© Image Source/Corbis

القدرة المحسنة للاتصالات قد تقود إلى إنجازات أكثر.

لاحقاً رسائل توصي بأن عدداً كبيراً آخر من جماعتهم قادمون للانضمام إليهم. أرسلت الشرطة تعزيزات وأحاطت بالسيارة ومنعت تحركها. أبقى هذا العمل مالك في مكانه إلى أن وصل مراسلو الصحف وأعضاء من البرلمان إلى المكان. أدى التهديد بانطلاق دعاية سيئة إلى إطلاق سراح مالك وهي نتيجة كان من الممكن أن تكون صعبة التنسيق بدون موقع تويتر.

القدرة على تنسيق عمل المجموعات المشتتة سوف تستمر في التحسن: فالأدوات الاجتماعية الجديدة يستمر ابتكارها. لكن مهما بدت هذه الأدوات ثانوية، فإن أية أداة تحسن الوعي المشترك أو التنسيق بين المجموعات يمكن إدخالها في الخدمة لمصلحة وسائل سياسية، لأن حرية العمل ضمن مجموعة هي سياسية أساسها. والرسائل الاجتماعية المرسله بصورة متزايدة من الصين إلى نيجيريا في الوقت الحقيقي تظهر لنا أننا نتبنى هذه الأدوات لتقوية قدراتنا ونعدل أدواتنا لتحسين تلك التقوية.

الأدوات الاجتماعية لا تقوم بخلق العمل الجماعي الآن. إنها ببساطة تزيل العوائق القائمة بوجه تنفيذ هذا العمل. كانت هذه العوائق ذات أهمية كبيرة ومنتشرة بشكل واسع، ولكن مع إزالتها بدأ العالم يتحول إلى مكان مختلف. هذا هو سبب استناد العديد من التغييرات ذات الشأن ليس على أحدث ابتكارات التكنولوجيا وأكثرها خيالاً فحسب، بل وأيضاً على أدوات بسيطة سهلة الاستعمال كالبريد الإلكتروني، والهواتف الجواله، ومواقع الإنترنت. هذه هي الأدوات التي يستطيع معظم الناس الوصول إليها، وهي بدرجة حاسمة مريحة لاستعمال الناس في حياتهم اليومية. فالثورة لا تحصل عندما يتبنى المجتمع تكنولوجيات جديدة، لكنها تحدث عندما يتبنى المجتمع أنواعاً جديدة من السلوك.

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعكس بالضرورة وجهات نظر أو سياسات الحكومة الأمريكية.

مع كينغ ساني آد، نقل الأجهزة الكهربائية، أيام سيئة— حيث من المحتمل أن يثير المحتوى المتوفر علناً اهتمام معظم المستعملين. وبما أن الكثير من المحتوى لا معنى له، فلا يعني ذلك ان كل المحتوى هو كذلك، كما يمكن ملاحظته من اتصال جرى عبر موقع تويتر من القاهرة عام 2007 (مع تحديد أوقات إرسال الرسالة).

علاء: أنا ذاهب إلى قاضي التحقيق مراد في الدقي الذي اتهمني مع منال بالتشهير (10:11 قبل الظهر، 4 نيسان/أبريل) علاء: إني أنتظر قرار المحققين ومن المحتمل أن أمضي الليلة في السجن (1:57 بعد الظهر، 4 نيسان/أبريل). علاء: إننا ذاهبون إلى مركز الشرطة في الدقي (3:31 بعد الظهر، 4 نيسان/أبريل).

علاء: لم يكن يوجد في مركز الشرطة أي ضابط كبير ولذلك فنحن في حيص ببص (4:29 بعد الظهر، 4 نيسان/أبريل) علاء: لن يطلق سراحنا من سجن الجيزة وعلينا العودة إلى مركز الشرطة في الدقي (7:59 مساءً، 4 نيسان/أبريل). علاء: في طريقنا بالعودة إلى مركز الشرطة (10:25 مساءً، 4 نيسان/أبريل)

علاء: أصبحنا أحراراً (11:22 بعد الظهر، 4 نيسان/أبريل) علاء، أو علاء عبد الفتاح، هو مبرمج مصري وناشط ديمقراطي ومدون إلكتروني يعيش في القاهرة. وهنا يوثق توقيفه، مع زوجته منال، في منطقة الدقي في القاهرة، وهي قصة انتهت بعد 12 ساعة بإطلاق سراحهما. أمر القاضي المصري عبد الفتاح مراد بتوقيف علاء في محاولة منه لوقف استعمال عشرات من مواقع الإنترنت في مصر على أساس ان هذه المواقع "تحقر القرآن والله، والرئيس، والبلاد". عندما بدأ المدونون المصريون المؤيدون للديمقراطية في تغذية أخبار أنظمة الرقابة المقترحة، أضاف القاضي مراد مواقعهم إلى لائحة المواقع التي كان يحاول منعها.

## قلب الميزان

ماذا يقدم موقع مثل تويتر، الذي يكون وجهه العام لا معنى له إلى هذه الدرجة، إلى علاء عبد الفتاح والى ناشطين مصريين آخرين؟ وكما وصف عبد الفتاح موقع تويتر: "نستعمله للمحافظة على شبكة وثيقة من الناشطين الذين يكونون على علم بالإجراءات الأمنية خلال الاحتجاجات. ويقوم الناشطون بعد ذلك باستعمال موقع تويتر لتنسيق ردة الفعل." ولكون الناشطين المؤيدين للديمقراطية مراقبين بعناية كبيرة، فإن الموقع يسمح لهؤلاء إرسال الرسائل بالوقت الحقيقي وتنسيق المجموعة التي تساعد في قلب ميزان العمل لصالحهم.

أحد الاستعمالات المبكرة لموقع تويتر مكن عبد الفتاح وحوالي عشرة آخرين من زملائه من تنسيق التحركات للإحاطة بسيارة كانت الشرطة تحتجز بداخلها صديقهم مالك، وذلك لمنع قطر السيارة وصديقهم. كانوا مدركين بأنهم مراقبون فأرسلوا

# هل تنتهي الحروب أبداً؟

جون هورغان



© Imaginechina via AP Images

يجد علماء الانثروبولوجيا علاقات متبادلة بين الحروب والتوترات البيئية كالجفاف.

"بكلتا". وعندما طلبت منهم تبرير وجهة نظرهم هذه، أجاب العديد منهم ان الحرب "متأصلة في موروثاتنا".

تبدو الأبحاث الحديثة حول الحرب والعدوان، للوهلة الأولى، أنها تدعم هذا الاستنتاج الحتمي. يقدر عالم الانثروبولوجيا لورانس كيللي من جامعة إلينوي أن أكثر من 90 بالمئة من المجتمعات القبلية التي سادت قبل ظهور مفهوم الدولة، شاركت في حروب بين الحين والآخر على الأقل، وحارب الكثير منها بشكل متواصل. كانت الحروب القبلية تتضمن في العادة مناوشات وكمان أكثر من المعارك الضارية، ولكن مع مرور الزمن أصبح من المحتمل للقتال أن يؤدي إلى معدلات وفاة تصل إلى 50 بالمئة. يؤكد كيللي ان هذه النتائج تقوض الادعاء الذي عبر عنه الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو، الذي عاش في القرن الثامن عشر، والذي يقول انه قبل الحضارة كان الناس "متوحشين نبلاء" يعيشون في وفاق مع بعضهم البعض ومع الطبيعة.

يعيد بعض العلماء الحرب بالارتداد إلى السلف الأقدم المشترك الذي نقاسمه مع الشبانزي، النسب الأقرب إلينا من

الحروب لا تُشكّل جزءاً من الحالة الطبيعية للبشر. فالحضارة تشجع اعتماد طرق أقل عنفاً لتحقيق التغيير.

جون هورغان صحافي في مجال العلوم ومدير مركز الكتابات العلمية في معهد ستيفنز للتكنولوجيا، في هوبوكن، بولاية نيويورك. تشمل كتبه كتاب: "نهاية العلم، العقل غير المُكتشف، والتصوف العقلاني".

الحرب، أي العنف المنظم المميت بين مجموعتين أو أكثر، تشكل أعمق أشكال العنف البشري تدميراً. فطوال التاريخ البشري تنبأ رؤيويون متنوعون مثل، إيمانويل كانت ومارتن لوتر كنج جونيور، نهاية الحروب، أو حتى التهديد بالحرب كوسيلة لحل النزاعات بين الدول.

لكن اليوم، واستناداً إلى استطلاعات أجريتها خلال السنوات القليلة الماضية، وجدت ان معظم الناس توصلوا إلى قناعة بأن تجنب الحروب والاستعدادات العسكرية أمر غير ممكن. عندما طرحنا السؤال، "هل سيتوقف بنو البشر في يوم ما عن شنّ الحروب"؟ أجابت نسبة 90 بالمئة من الطلاب في جامعتي



AP Images/Pat Roque

ساهمت المؤسسات القانونية مثل المحكمة الجواله في الفلبين التي تبدو في الصورة، في التقليل من خطر العنف ضمن الدول.

يانومامو، وهي قبيلة يسود فيها تعدد الزوجات وتوطن في غابة المطر في الأمازون. يشترك رجال قبيلة يانومامو من قرى مختلفة في غارات وغارات مضادة يقتل فيها العديد. وجد نابوليون شانون، عالم الانثروبولوجيا في جامعة كاليفورنيا الذي راقب لعقود أفراد قبيلة يانومامو، ان القتل الذكور لهم بالمعدل ضعف عدد الزوجات وثلاثة أضعاف عدد الأولاد بالمقارنة مع الذكور الذين لم يقتلوا أبداً.

لكن شانون يرفض بشدة الفكرة القائلة إن المحاربين من قبيلة يانومامو مجبرون على القتال مدفوعين بغريزتهم العدوانية. يشرح شانون ذلك بالقول ان القتل المقهورين يُقتلون بسرعة في الواقع، بل بالأحرى انهم لا يعيشون سنوات طويلة لكي يصبح لديهم زوجات وأولاد عديدين.

يقول شانون إن المحاربين الناجحين من قبيلة يانومامو يسيطرون في العادة على تصرفاتهم ويحسبون خطواتهم. فهم يحاربون لأن ذلك هو الأسلوب لتقدم الذكر في مجتمعهم. علاوة على ذلك، أقر رجال عديدين من قبيلة يانومامو إلى شانون بأنهم

الناحية الجينية. لاحظ الباحثون في أفريقيا، ابتداءً من منتصف السبعينيات من القرن الماضي، ان ذكور الشمبانزي من نفس الفصيلة يتوحدون سوية لحراسة منطقتهم، فإذا صادفوا شمبانزيا من فصيلة مختلفة فإنهم يضربونه بوحشية، وحتى الموت في أحيان كثيرة.

يقول عالم الانثروبولوجيا في جامعة هارفرد ريتشارد رانغهام، ان معدلات الموت بسبب العنف بين فصائل الشمبانزي تقارن بصورة تقريبية مع المعدلات التي لوحظت بين الصيادين من بني البشر عندما كانوا في حقبة الصيد القديمة. يؤكد رانغهام ان "العنف المشابه لعنف الشمبانزي سبق ومهد الطريق أمام الحروب البشرية، وجعل الإنسان الحديث الوريث الباقي المذهول لخمسة ملايين سنة متواصلة من عادة الاعتداءات المميتة."

يؤكد رانغهام أن الانتقاء الطبيعي فضل الذكور من الثدييات الرئيسية، ومن ضمنها الإنسان، الميلين إلى العدوان العنيف. وكدليل عن ذلك، يشير إلى دراسات جرت على أفراد قبيلة

يكرهون الحرب ويرغبون في إلغاء وجودها من حضارتهم. وبالفعل فقد هبطت معدلات العنف بدرجة ذات شأن خلال العقود الأخيرة بعد أن بدأت قرى قبيلة يانومامو تقبل بقوانين وعادات العالم الخارجي.

### ليست طبيعة إنسانية

والواقع، ان نمط الحروب التي تندلع وتتوقف تكراراً يفوق العديد من الباحثين إلى رفض الفكرة القائلة إن الحرب عاقبة حتمية للطبيعة الإنسانية. يؤكد عالم الأنثروبولوجيا جوناثان هاس، في متحف فيلد ميوزيوم في شيكاغو، ويقول، "إذا كانت الحرب متجذرة بعمق في تكويننا البيولوجي فإنها سوف تبقى هناك طوال الوقت، لكنها ليست كذلك بكل بساطة". ويضيف هاس، ان الحرب ليس لها وجود فطري وفق نفس الوجود الفطري للمفهوم اللغوي، وقد أظهرت ذلك كافة المجتمعات الإنسانية المعروفة في كافة الأزمان.

يؤكد أيضاً عالما الأنثروبولوجيا كارول وملفين امبر ان النظريات البيولوجية لا تستطيع تفسير أنماط الحرب في المجتمعات التي سادت، إما قبل نشوء الدول أو عند نشوئها. يشرف العالمان على ملفات مجال العلاقات الإنسانية في جامعة ييل، وهي قاعدة بيانات حول 360 حضارة تقريباً سابقة وحالية. ومع ان نسبة تزيد عن 90 بالمئة من هذه المجتمعات شاركت في حروب، على الأقل لمرة واحدة، فان بعض المجتمعات تتحارب باستمرار بينما لا تفعل أخرى ذلك إلا نادراً. وجد العالمان ارتباطات متبادلة بين معدلات الحروب والعناصر البيئية، وبالأخص حالات الجفاف، والفيضانات، والكوارث الطبيعية الأخرى التي تثير مخاوف ندرة المؤن.

يؤكد ستيفن لوبلان، عالم الآثار في جامعة هارفرد، ان السبب الرئيسي للحرب هو الكفاح المalthوسي (نسبة إلى عالم الاقتصاد مالثوس) في سبيل الحصول على الغذاء والموارد الأخرى. ويقول "منذ بداية الزمن، كان الإنسان عاجزاً عن العيش في توازن إيكولوجي. وبغض النظر عن أين نقطن على وجه الأرض فإننا في نهاية المطاف نتجاوز ما توفره لنا البيئة. أدى هذا الأمر دائماً إلى حصول تنافس على وسائل البقاء على قيد الحياة، وكانت الحرب العاقبة الحتمية للنزاعات الطبيعية الإيكولوجية - الديموغرافية". وهو يعتقد ان هناك طريقتين أساسيتين لتجنب النزاعات في المستقبل، هما ضبط النمو السكاني وإيجاد بدائل غير مكلفة للوقود الأحفوري.

كشفت أيضاً دراسات حول الثدييات عن أهمية العوامل البيئية والثقافية. فقد أظهر فران دي وال، أستاذ سلوك الثدييات في جامعة إيموري، ان القرد الهندي القصير الذيل (الروسوس)، الذي يبدو عادة على انه عدائي بالسليقة يكون أقل وألماً بالقتال إذا أشرفت على تربيته قروود من ذوي الأذنان القصيرة والعادات الحميدة. وقد استطاع دي وال أيضاً من خفض النزاعات بين القروود والسعادين من خلال زيادة اعتمادها على بعضها البعض، أي إجبارها على التعاون من أجل الحصول على الغذاء مثلاً، وتأمين وصولها المتساوي إلى الغذاء.

وإذا تم تطبيق هذه الدروس على بني البشر، يرى دي وال ما يعد بالخير جراء قيام التحالفات، كالاتحاد الأوروبي، التي تعزز التجارة والسفر المشترك، وبالتالي الاعتماد المتبادل. ويقول، "إذا جرى تعزيز الروابط الاقتصادية، سوف تزول على الأرجح أسباب الحروب، التي تكمن عادة في الموارد".

ربما كانت الإحصائيات التي تدفعنا أكثر إلى الأمل والإندهاش، والتي برزت من الأبحاث حول الحروب الحديثة، هي ان الإنسانية بمجملها أصبحت أقل ميلاً للحروب مما كانت عليه. أدت الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية وكافة الحروب التي شهدتها القرن العشرون، إلى مقتل ما يزيد عن 3 بالمئة من سكان العالم. ان هذا العدد يقل عن متوسط معدلات الوفيات العنيفة للذكور في المجتمع البدائي، والذي كانت أسلحته تتألف من هراوات ورماح وليس مدافع آلية وقنابل.

إذا تم تعريف الحرب كنزاع مسلح يؤدي إلى مقتل ألف شخص سنوياً، فيكون قد حدث عدد قليل نسبياً من الحروب الدولية خلال نصف القرن الماضي، كما وانخفض معدل حصول الحروب الأهلية منذ أن وصل إلى ذروته في أوائل التسعينات من القرن الماضي.

تتشكل معظم النزاعات الآن من حروب عصابات، وحالات تمرد وإرهاب، أو ما يسميه العالم السياسي جون موللر من جامعة أوهايو على أنه "فضالة الحروب". يرفض موللر التفسيرات البيولوجية لهذا الاتجاه، لأن "مستويات مادة التستوسترون لدى البشر تبدو أنها لا زالت عالية كما في أي وقت مضى". بعد أن لاحظ موللر أن الأنظمة الديمقراطية نادراً ما تقوم بمحاربة بعضها البعض الآخر، يعزو موللر تراجع الحروب، منذ الحرب العالمية الثانية على الأقل، إلى ازدياد عدد الأنظمة الديمقراطية حول العالم.



من المعتقد ان تعليم الفتيات يقود إلى الاستقرار السكاني والى تخفيف الاضطرابات الاجتماعية.

## حضارة أكثر

يحدد العالم النفساني ستيفن بينكر من جامعة هارفرد عدة أسباب أخرى محتملة للتراجع الأخير للحروب وأشكال العنف الأخرى. وأول هذه الأسباب هو ان بروز دول مستقرة تتبع أنظمة قانونية فعالة وتدير قوات شرطة نظامية قد قضت على الفوضى السياسية للكل ضد الكل، التي تحدث عنها الفيلسوف هوبس. والسبب الثاني، هو ان التوقعات المتزايدة لطول حياتنا جعلتنا اقل رغبة في المخاطرة بحياتنا من خلال الانخراط بأعمال العنف. والسبب الثالث، هو انه نتيجة العولمة والاتصالات المتزايدة فقد أصبحنا معتمدين بدرجة أكبر على الآخرين من خارج قبايلنا المباشرة، وكذلك متشددين أكثر تجاههم. ورغم ان الإنسانية يمكنها "الانزلاق بسهولة نحو الحرب"، يستنتج بينكر ان "قوى الحداثة تجعل الأشياء أفضل وأفضل."

وباختصار، فان خطوطا عديدة من الأبحاث تُناقض الأسطورة القائلة إن الحرب هي أحد ثوابت الحالة الإنسانية. توحي هذه الدراسات أيضاً، بعكس أسطورة الإنسان المتوحش النبيل المسالم، بان الحضارة لم تخلق مشكلة الحرب بل إنها تساعدنا على حلها. فإبنا نحتاج إلى حضارة أكثر وليس أقل، إذا رغبتنا في استئصال الحرب.

أعطتنا الحضارة مؤسسات قانونية تحل النزاعات من خلال إصدار القوانين والتفاوض بشأن الاتفاقيات وفرض تطبيقها. هذه المؤسسات، التي تتراوح بين محاكم محلية ومنظمة الأمم المتحدة، قللت بدرجة كبيرة من خطر العنف ضمن الدول وفيما بينها. من المؤكد ان مؤسساتنا بعيدة عن أن تكون مثالية. فلا زالت الدول حول العالم تحتفظ بترسانات هائلة من الأسلحة، ومنها أسلحة الدمار الشامل، ولا زالت النزاعات المسلحة تدمر العديد من المناطق. ولذلك ماذا علينا ان نفعل لتعزيز السلام، علاوة على المقترحات الواردة أعلاه؟

يقترح ملفين كونر، عالم الانثروبولوجيا في جامعة ايموري، تعليم الإناث كأسلوب رئيسي آخر لخفض النزاعات. فقد لاحظ ان العديد من الدراسات تظهر ان زيادة تعليم الإناث تقود إلى خفض معدلات الولادة وتكون النتيجة وجود عدد مستقر من السكان مما يخفض الطلب على الخدمات الحكومية والطبية، ويقلل من درجة استنزاف الموارد الطبيعية، وبالتالي احتمالات حدوث اضطرابات اجتماعية.

إن انخفاض معدل الولادات يُشكّل أيضاً ما يسميه بعض

علماء الديمغرافيا "الأغصان العارية"، أي الرجال الشبان غير المتزوجين والعاطلين عن العمل، والذي تترافق أعدادهم مع زيادة معدل النزاعات العنيفة ضمن الدول وفي ما بينها. يقول كونر، "ان تعليم الفتيات هو أفضل استثمار يمكن ان تقوم به في دولة نامية."

## قبول السلام

من الواضح أن إنهاء الحروب ليس بالأمر السهل. ويبدو أنه من الإنصاف القول ان العوامل التي تحدد اندلاع الحروب هي مرتفعة للغاية، أي يمكنها أن تندلع نتيجة أسباب مختلفة. ولذلك يجب أن تكون العوامل التي تحدد تحقيق السلام مرتفعة للغاية إذا كان المطلوب للسلام أن يكون دائماً.

يستطيع العلماء المساعدة في تعزيز انتشار السلام عبر طريقتين: الأولى من خلال الرفض العلني للفكرة القائلة بان الحرب حتمية، والثانية هي ضرورة إجراء أبحاث مكثفة أكثر حول أسباب الحرب والسلام. يتمثل الهدف القصير المدى لهذه الأبحاث بإيجاد طرق لتخفيف النزاعات في العالم اليوم، أينما قد تحدث. ويتمثل الهدف على المدى الطويل بتحديد طرق للإنسانية من أجل تحقيق نزع دائم للسلاح: إلغاء الجيوش، والأسلحة، وصناعات الأسلحة.

يبدو ان نزع السلاح عالمياً لا زال احتمالاً بعيداً جداً الآن. ولكن هل يمكننا بالفعل قبول وجود جيوش وأسلحة، بضمنها أسلحة الدمار الشامل، كمزايا دائمة للحضارة؟ وحتى في أواخر الثمانينات من القرن الماضي، كانت الحرب النووية تبدو بمثابة احتمال واضح. ومن ثم، وبصورة لا تصدق، تفكك الاتحاد السوفياتي وانتهت الحرب الباردة بسلام. كما انتهى أيضاً التمييز العنصري في جنوب أفريقيا بدون عنف ذي شأن، وتقدمت الحقوق الإنسانية في أماكن أخرى حول العالم. فإذا كانت القدرة على الحرب كامنّة في موروثاتنا، كما يخشى العديد من الناس في هذه الأيام، فان القدرة على السلام، والرغبة به، هي أيضاً كذلك.

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعكس بالضرورة وجهات نظر أو سياسة الحكومة الأميركية

# مأزق السجين وفرص أخرى

ديفيد بي. باراش

يأخذ كل واحد منهما مصلحة الآخر بعين الاعتبار: مثلاً، تقاسم الغنيمة بدلاً من أن يحاول أحدهما احتكار المبلغ وربما يتقاتلان عليه نتيجة لذلك. وعندما يتم تحديد "المكافآت" ليس بما يفعله الشخص الأول فحسب، بل وأيضاً بما يفعله الشخص الثاني بالتزامن معه، فإن الحاجة تقتضي اللجوء إلى نظرية الألعاب تلك.

لكن، ولسوء الحظ، كثيراً ما تكون مثل هذه القرارات أقل وضوحاً من مجرد عملية تقاسم الفرق، بل والأسوأ من ذلك، أنها كثيراً ما توفر فرصاً لعدم التعاون، وبوجه خاص عندما يؤدي تعاون أحد اللاعبين إلى تعرّضه للاستغلال على يد اللاعب الآخر. وبالطبع، كثيراً ما تواجه مثل هذه الحالات أفراداً ومجموعات اجتماعية تكون ساعية لمنع حدوث النزاع وتجنب العنف.

باختصار، هناك خطر دائم، بأنه من خلال اختيار التعاون بدلاً من التنافس، سوف يخاطر اللذين يتبعون الممارسات السلمية بالتعرض للخسارة أمام من هم أكثر عدوانية وأكثر ميلاً إلى ممارسة العنف. تصوروا، مثلاً، أنه في مثال عثور شخصين على كومة من المال، إذا قرر أحدهما أن يشهر سلاحاً في وجه الآخر ويدعي بأن كل المال يعود إليه، بينما يلتزم الشخص الآخر بالموقف السلمي. قد تبدو النتيجة الحتمية مكافأة المشارك العنيف على سلوكه (بأخذ المال كله) بينما يُترك الشخص الملتزم بالموقف السلمي خاوي اليدين، أو كما وصفه مكيافيلي بقوله المشهور: "الرجل الذي يرغب في أن يجعل من الطيبة مهنته في كل شؤون الحياة سوف يواجه الأسى حتماً إذا تواجد بين أشخاص غير طيبين."

## الحلول السلمية

ولكن يبقى هناك أمل، كذلك: لا تساعدنا نظرية الألعاب في مجرد فهم المشكلة بل تقترح حلولاً سلمية وتدعمها.

إن لعبة مأزق السجين، المستخرجة من نظرية الألعاب، توفر نموذجاً لتطور التعاون مقابل التنافس بصورة أكثر عمومية. ومثلها مثل معظم النماذج، فإنها متناهية البساطة، لكنها تساعد في توضيح تفكير المرء.

توحي نظرية الألعاب أنه رغم أن إنجاز التعاون ليس بالأمر البسيط على الإطلاق، لكن في معظم الأحيان يُمكن أنه يظل الخيار المُفضل على خيار النزاع. ديفيد بي. باراش هو أستاذ علم النفس في جامعة واشنطن، وشارك في تأليف كتاب "دراسات السلام والنزاع" من بين كتب عديدة أخرى.

تبدو المشكلة بسيطة بما يكفي: وهي لماذا لا يتعاون الناس في ما بينهم؟ أو على الأقل لماذا لا يتعاونون بنسبة أكبر مما يفعلون حالياً؟ ففي نهاية المطاف، إذا ساعدتك أنا وساعدتني أنت بالمقابل، ألن نصبح كلانا في وضع أفضل؟ وبصورة مماثلة، ألن يستفيد كل إنسان في حال انتهجنا جميعاً مسار اللاعنف؟ باختصار، ما هو الأمر الصعب إلى هذه الدرجة بالنسبة للسؤال الذي طرحه سائق السيارة الأميركي رودني كينغ، بعد أن ضربه رجال الشرطة في لوس أنجلوس وهو: "لماذا لا نعمل جميعنا سوية؟ وبدون اللجوء إلى العنف؟"

لكن يتبين أن الجواب سيكون أكثر تعقيداً مما يعتقده المرء. علاوة على ذلك، تساعد سلسلة من الأساليب التقنية لاتخاذ القرارات، تُعرف بنظرية الألعاب، في إلقاء الضوء على كل من المشاكل نفسها وبعض الاستراتيجيات الخاصة بحلها، من ضمنها مشكلة العنف مقابل الأساليب السلمية.

باختصار، نظرية الألعاب هي طريقة للنظر في أوضاع تشمل، في أبسط الحالات، جانبين (أو لاعبين) مع تحديد "المكافآت"، أو "الحصائل"، ليس استناداً إلى ما يفعله أحد اللاعبين فحسب، بل وأيضاً استناداً إلى تفاعل الجانبين المشتركين. وفي غياب مكون التفاعل هذا، قد لا تكون مثل هذه "الألعاب" كثيرة الصعوبة: قد يفعل كل لاعب ببساطة كل ما يمكن فعله للحصول على أفضل نتيجة لنفسه، بغض النظر عن اللاعب الآخر. فعلى سبيل المثال، إذا كان الطقس ماطرًا، قد يكون "التحرك" الصحيح حمل مظلة بغض النظر عما يفعله الآخر. ومن غير المحتمل أن يتأثر الطقس بسلوك أي فرد. ولذلك فكل إنسان حر باتباع ميوله دون اعتبار لما يفعله الآخر.

ومن جهة أخرى، تصور أن يعثر شخصان، مثلاً، على كومة صغيرة من النقود؛ عندها يكون من الأفضل لهما أن

السجين، غير أن العقاب هنا هو أسوأ مكافأة على الإطلاق: حيث تتجاوز كلفة القتال، أو حتى التهديد بالقتال، كلفة كون المرء مغفلاً وبالتالي تجنّب النزاع بالكامل. ولعبة الدجاجة هي عبارة عن "لعبة" يتقدم فيها سائقا سيارتين صوب أحدهما الآخر على مسار تصادمي، بحيث يسعى كل واحد منهما إلى حصد الآخر على الانحراف. واللاعب الذي ينحرف، أي ما يعادل "التعاون" في لعبة مأزق السجين، يعتبر "دجاجة" (وهي كلمة عامية تعني الجبان)، بينما اللاعب الذي يظل سائراً في خط مستقيم، أي الذي يُماثل "التخلف" عن التعاون في لعبة مأزق السجين، هو الذي يكسب اللعبة. لكن المشكلة هي أنه في حال صمم كل لاعب على التخلف عن التعاون، وبالتالي على أن يربح اللعبة على حساب الآخر، فتكون النتيجة أن كليهما سوف يخسر!!

### جولات متكررة

إن نماذج نظرية الألعاب المبسطة تفترض أيضاً أنه لا توجد سوى مكافأة محتملة وحيدة، وأن أي تفاعل هو حالة تجري مرة واحدة. غير أن واقع الأمر هو أن الأفراد والجماعات كثيراً ما يتفاعلون بصورة متكررة وبذلك يستطيعون تغيير سلوكهم استناداً إلى ما حصل لهم في المرة السابقة. ولذلك، تكون للطرفين مصلحة حقيقية في استحداث سلسلة من التفاعلات السلمية والمتعاونة، لأن مكافأة التعاون السلمي تكون دائماً أعلى من عقاب العنف المتبادل، بغض النظر عما إذا كان الأمر يتعلق بلعبة مأزق السجين أو لعبة الدجاجة. وهكذا، فمن المحتمل لمثل هذه النتائج أن تعود بأعلى مكافأة لجميع المعنيين بالأمر.

ومن الجدير بالاهتمام، حتى في التفاعلات المنعزلة التي تحدث لمرة واحدة، عندما يوحي الاحتمال المنطقي الصارم أن التخلف التنافسي عن التعاون يُشكّل الاستجابة "المنطقية"، يميل معظم الأفراد إلى محاولة التعاون، وعلى وجه الخصوص عندما يدركون أن التفاعل المعني من المحتمل أن يتكرر. فالتفاعلات المتواصلة لا تقدم مجرد احتمال الخسارة بسبب العقاب المتكررة الناتجة عن التخلف المتبادل عن التعاون (العنف)، بل وتقدم أيضاً احتمال التمتع بمكافآت مستمرة نتيجة التعاون المشترك (اللاعنف).

تظهر عمليات المحاكاة الرياضية والمعتمدة على الكمبيوتر، على سبيل المثال، أن استراتيجيات بسيطة تعتمد على مفهوم المعاملة بالمثل تستطيع أن تولد أعلى مكافأة على الإطلاق، حتى في لعبة مأزق السجين الكلاسيكية. وتتضمن مثل هذه الاستراتيجيات التعاون في المرحلة الأولى، ومن ثم يقوم كل لاعب بمجرد تكرار الحركة التي قام بها اللاعب الآخر في الجولة السابقة. وهكذا، يولد التعاون من جانب اللاعب الأول تعاوناً من جانب اللاعب الثاني لا نهاية له، وتكون نتيجة ذلك

لنفترض أن شخصين، أو جماعتين أو حتى دولتين، لديهما الخيار إما أن ينتهجا أسلوب العنف أو الأسلوب السلمي. (يعمّم أصحاب نظرية الألعاب هذه الخيارات "على التعاون" مقابل "التخلف عن التعاون"، أو المرء "لللطيف" مقابل "البغيض"، ومن ضمن ذلك نجد شؤون دولية، مثل سباق التسلح وفرض الحواجز التجارية). فإذا اختار الفريقان اللاعنّف، يحصل كل فريق على مكافأة على تصرفه: وهو الحل السلمي لنزاعهما، أو في مثال العثور على كومة المال، الحصول على حصة دون قتال؛ أما في حال اختار الاثنان العنف، فسوف يحصل كل واحد منهما على مكافأة مختلفة: العقاب باحتمال تعرضه للأذى. أما إذا تخلف أحدهما وتعاون الآخر، يحصل المتخلف العنيف على ما يعرف بإجراء "التخلف" (في هذا المثال كل المال)، ويحصل الشخص الذي تعاون (الذي تصرف بدون عنف بينما اختار الشخص الآخر العنف)، على مكافأة "المغفل": لا يحصل على شيء من المال في هذا المثال.

وحتى يتسنى فهم ما سيحدث بعد ذلك، تصوّر نفسك داخل رأس أحد هذين اللاعبين: "اللاعب الآخر يستطيع إما أن يتعاون معي (أن يكون عنيفاً) أو أن يتخلف عن التعاون. فإذا كان من الصنف الأول، عندي يكون أفضل تحرك لي هو التهديد بالعنف لأنني بذلك قد أحصل على أعلى مكافأة، وهي كل شيء، بينما هو، أي المغفل، لن يحصل على أي شيء. ومن جهة أخرى، فإنه قد يختار التخلف عن التعاون ويهدد بالعنف. وفي هذه الحالة، يكون أفضل تحرك لي، أيضاً، هو أن أفعال الشيء ذاته، لأنه حتى وإن حصلت على عقاب القتال المحتمل، الأمر الذي في واقع الأمر يُشكّل مكافأة سيئة، فعلى الأقل يكون ذلك أفضل من أن ينتهي بي المطاف في عداد المغفلين وأخسر كل شيء."

النتيجة من هذا المنطق الصارم، هي أن كل جهة تميل إلى احتمال التخلف العنيف، والذي يوقر مأزقاً مقلقاً بالتأكيد لأنه من خلال عمل ذلك ينال كل طرف عقاباً (في حالة الأفراد، القتال، وفي حالة الدول، ربما سباق تسلح مُضن أو حرب تجارية) حيث تكون أفضل مكافأة مشتركة هي التي يتم تقاسمها عبر التعاون والأساليب السلمية.

تُشكّل لعبة "مأزق السجين" طريقة مفيدة لصياغة نموذج هذا المأزق، أي التفكير بأن المرء أن يكون "بغيضاً" خشية من أن يصبح المرء "اللطيف" تحت رحمة الآخرين يتمادون في كونهم بغيضين (تذكروا ميكيايللي).

من جهة أخرى، هذه الطريقة ليست هي الطريقة الوحيدة التي يمكن استخدامها للنظر في مثل هذه الحالات. فمثلاً، عندما يتعلق الأمر بالعنف واللاعنف فقد يكون النموذج المناسب أكثر هو اللعبة المسماة "لعبة الدجاجة"، التي تشبه لعبة مأزق

أن اللاعبين يحصلان على مكافأة متكررة تقوم على التعاون غير العنيف. وعلى نفس المنوال، ينتج تخلف اللاعب الأول، تخلفاً من اللاعب الثاني، وبذلك تتم حماية اللاعب الثاني من أن يصبح مغفلاً أكثر من مرة واحدة، وعبر هذه العملية، تثبط عزيمة اللاعب الأول عن التخلف في المقام الأول.

لم يتقبل المهاتما غاندي عملية فكرة الأعمال الانتقامية المتبادلة ولكنه شدد بقوة على أن "ساتياغراها"، العبارة التي استعملها للدلالة على أساليب اللاعنف النشطة، يجب تمييزها عن القبول السلبي أو الرغبة في تجنب النزاع بأي ثمن كان. وكان غاندي أيضاً واضحاً تماماً في أن ممارسي الأساليب السلمية المحتملين، سوف يغيرون، من خلال مثال أعمالهم في نهاية الأمر، سلوك المتخلفين المحتملين، وأنه من خلال سلوكهم المثالي، والمواقفة على قبول المعاناة (أن يصبحوا مغفلين في بعض الأحيان، وفق مصطلح نظرية الألعاب)، يستطيعون أن يفعلوا شيئاً لا يأخذه أصحاب نظرية الألعاب في اعتبارهم: وهو تغيير سلوك الطرف الآخر من خلال مناشدة طبيعته الأسمى.

وعندما ترد ضحية على العنف بمزيد من العنف، فإنها تتصرف بطريقة يمكن التكهن بها، وربما حتى فطرية، وتميل إلى تعزيز وتأكيد الاعتداء من المهاجم الأصلي وحتى، بطريقة ما، إلى تبرير العنف الأصلي، على الأقل في ذهن المهاجم. وبما أن الضحية تكون عنيفة جداً، فمن المفترض أنها تكون قد استحققت ذلك! وعلاوة على هذا، فإن هناك توقعاً واسع الانتشار بوجود قوة موازنة في المجال الاجتماعي مشابهة لقانون نيوتن الأول الذي ينص على أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الاتجاه. وهكذا، إذا ضرب اللاعب الأول اللاعب الثاني ثم رد اللاعب الثاني بضرب الأول، فإن ذلك سوف يشجع الأول، دائماً تقريباً، على الضرب مرة أخرى. لم يكن غاندي مولعاً بالوصية التوراتية "العين بالعين والسن بالسن"، من حيث أنه أشار إلى أنه في حال تصرف الجميع وفق هذه الطريقة قد يصبح العالم بأكمله أعمى وبلا أسنان.

بدلاً من ذلك، إذا رد اللاعب الأول بعمل سلمي، فإن نتيجة هذا الرد لا تكسر سلسلة الغضب والكراهية (المتناظرة مع السلسلة الهندوسية للولادة وإعادة الولادة) فحسب بل وتضع أيضاً اللاعب الأول في موقع غير متوقع. وقد كتب غاندي يقول، "أسعى كلياً من أجل أن ألتهم سيف الطغاة، ليس من خلال مواجهتهم بسلاح أمضى حُداً بل بتخيب توقعاتهم بأنني قد أواجههم بمقاومة جسدية." هذه المقاومة ليست سهلة ومن غير

المحتمل أن لا تكون مؤلمة، ولكن نظرية الألعاب، كما التجربة العملية لغاندي في جنوب أفريقيا والهند ولمارتن لوثر كينغ جونيور وغيره من الناشطين في الولايات المتحدة، كلها تؤكد إمكانية نجاحها بشكل مذهل.

رجل الدولة والفيلسوف الروماني القديم، شيشيرو، سأل في كتاب "رسائله إلى أصدقائه": "ما الذي يمكن عمله ضد القوة دون استعمال القوة؟" قد يجيب طلاب اللاعنف، يمكن عمل "الكثير". وأكثر من ذلك، قد يتساءلون ما إذا كان من الممكن عمل أي شيء فعّال، ودائم، أو ذي قيمة ضد القوة باستعمال القوة. ففي نهاية المطاف، وكما رأينا، يقود اللجوء المتبادل إلى العنف بسهولة إلى ما يُعرفه أصحاب نظرية الألعاب بالعقاب للتخلف المتبادل عن التعاون الذي يضر بالجميع. كما كان القائد الأميركي المدافع عن الحقوق المدنية كينغ، مثله مثل غاندي، عملياً إلى حد صارم، إذ كان يعتبر أن الأمور تقاس بنتائجها. حيث كتب يقول: "الرد على العنف بالعنف يضاعف العنف ويضيف ظلاماً دامساً إلى ليلة ظلماء لا تضئها النجوم. إنه لا يمكن طرد الظلام بالظلام، ولكن الضوء الساطع هو فقط القادر على فعل ذلك. ولا يمكن طرد الكراهية بالبغيضاء، وإنما بالحب."

وخلاصة القول، أن نظرية الألعاب تساعد في تسليط الضوء على حدود التعاون، وتكشف لماذا "الانسجام في العمل" ليس بتلك البساطة، أو حتى أنه شأن طبيعي، كما قد يرغب بذلك العديد من الناس. ولكن، في نفس الوقت، تُظهر النظرية أن بني البشر ليسوا محكومين بالضرورة بالعيش في العالم الذي رآه الفيلسوف هوبس، الذي يقوم على التخلف العقابي والتنافس المؤلم، وذلك في حال كان بالإمكان إقناع البشر باتخاذ وجهة نظر أوسع نطاقاً تجاه أوضاعهم، وبالتالي، تجاه الفرص المتاحة أمامهم.

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعكس بالضرورة وجهات نظر أو سياسات الحكومة الأميركية.

## قليلون، لكن ما حققوه غير الكثير

هوارد سنكوتا



وانغاري ماثاي، إلى اليمين، تفرس شجرة في نيروبي، كينيا. في العام 2006 بمشاركة باراك أوباما الذي كان يزور البلاد حينئذ.

ولا توجد هناك صيغة واحدة أو وصفة محددة تطبق منفردة لإحداث تغيير اجتماعي ذي مغزى في عالم يمثل هذا التعقيد والتنوع الهائلين. ومع ذلك فإن هذا العالم يتيح فرصاً رائعة لكل من يتحلى بالرؤية الصائبة والبصيرة النافذة وبالتفاني الذي يمكنه من الوصول إلى أعداد غير مسبوقة من الناس وإنشاء برامج مستندة إلى مبادئ اللاعنف والتقدم والأمل. وها هم سبعة أفراد يبينون كيفية إحداث هذا التغيير وإنجازه.

هوارد سنكوتا محرر سابق لمنشورات وزارة الخارجية ومراسل خاص حالي لموقع أميركا دوت غوف.

كيف يتسنى لأي امرئ أن يقرر تغيير العالم – بدون قوة أو إكراه – ويحقق ذلك فعلاً؟ فالمهمة صعبة حقاً، وكيف لها أن تكون غير ذلك؟ ومع ذلك، فإن أفراداً يضطلعون بها يومياً، منهم المشهور والمغمور، وذلك من خلال مزيج ناجع من الفعالة والرؤيا والعمل الدؤوب دون هواده. وتلهم قوتهم مئات الألوف غيرهم في السعي في سبيل إيجاد عالم أفضل، سواء أكان ذلك

عن طريق الحملات لإنصاف البيئة وتحقيق السلام وحماية الحقوق الإنسانية وإنهاء الفقر أو الدفاع عن حرية التعبير. والأشخاص السبعة الذين يجري تقديمهم هنا مختلفون في خلفياتهم وفي حياتهم المهنية وفي القضايا التي اختاروا تكريس أنفسهم للدفاع عنها. لكنهم يشتركون جميعاً في رباط واحد يشدهم، وهو أنهم، كنماذج للمثالية والبراغماتية العملية والتفاني، ساعدوا ومكنوا أناساً من خلفيات مماثلة في اختلافها اختلاف مشاربهم من التضافر والاتحاد معهم في العمل من أجل تغيير العالم نحو الأفضل.

قبل أن تطلق السيدة الكينية، وانغاري ماثاي، حركة الحزام الأهلية الهادفة إلى غرس الأشجار وحماية التنوع البيولوجي، التي جعلت منها أول امرأة أفريقية تفوز بجائزة نوبل للسلام، كان القليل من الناس يساؤون بين التدهور البيئي والمسائل المتعلقة بحقوق الإنسان والديمقراطية. ولكن لم يعد ذلك الأمر قائماً الآن.

قالت اللجنة النرويجية لجائزة نوبل للسلام خلال إعلانها عن فوز وانغاري بجائزة نوبل للسلام: "السلام على الأرض

يتوقف على قدرتنا على حماية بيئتنا الحية."

أظهرت ماثاي طوال حياتها المهنية ان الحركة الهادفة إلى حماية التنوع البيولوجي وتأمين التنمية المستدامة، في كينيا وحول العالم، مرتبطة بدرجة وثيقة جداً بتقدم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وخفض مستوى الفقر. وقد أظهرت كيف يمكن للمجتمعات المحلية الصغيرة والناس الفقراء ان يُحدثوا تغييراً ذا شأن في حياتهم من خلال الوسائل السلمية اللاعنفية.

قالت ماثاي في الخطاب الذي ألقته لدى تسلمها جائزة نوبل في كانون الأول/ديسمبر 2004، "من خلال حركة الحزام الأخضر جرى حشد وتمكين آلاف المواطنين العاديين للعمل وتحقيق التغيير. تعلموا كيف يتغلبون على الخوف والشعور بالعجز وتحركوا للدفاع عن الحقوق الديمقراطية."

لم تر ماثاي بالضرورة هذه الروابط عندما باشرت عملها. ففي بادئ الأمر، كان غرس الأشجار طريقة مباشرة بسيطة لتلبية حاجات النساء الريفيات، اللواتي يعتنين بصورة أساسية بأسرهن، للحصول على حطب الوقود، وتحقيق دخل إضافي، ومنع انجراف التربة، وتوفير مياه الشرب النظيفة، وضمان

إنتاج محاصيل أكبر.

علق محام كندي من أصل إيراني على موقع الإنترنت "Iranica.com"، بعد أن ألفت عبادي خطاباً في تورونتو، قائلاً: " جعل عرضها المفعم بالنشاط والمشاعر من كل كلمة



© AP Images/Vahid Salemi

شيرين عبادي

قالت عبر القاعة تبدو وكأنها ضربات طبله كان يتردد صداها بعد وقت طويل من توقف لاعب الطبله".

قالت لجنة نوبل عن عبادي، خلال الإعلان عن منحها جائزة نوبل المرموقة للسلام، انها "كمحامية، وقاضية، ومحاضرة، وكاتبة، وناشطة تتكلم بوضوح وبقوة في بلدها إيران، وفي مناطق أبعد بكثير من حدود بلدها. وبصفتها صوت الإنسان المحترف والشجاع، فقد وقفت بجرأة ولم تأبه للتهديدات الموجهة إلى سلامتها الشخصية".

تخرّجت شيرين عبادي، المولودة عام 1945، من جامعة طهران، وحصلت لاحقاً على شهادة دكتوراه في القانون بينما كانت تشق طريقها فُدماً في وزارة العدل. وقد أصبحت أول قاضية في إيران ترأس محكمة مدينة طهران. لكنها أجبرت على الاستقالة في أعقاب الثورة الإسلامية عام 1973 التي اعتبرت أن النساء غير مؤهلات لشغل مثل هذه المراكز الرئيسية. وقامت السلطات بتعيينها كمجرد كاتبة في نفس المحكمة التي كانت ترأسها في السابق.

استقالت عبادي من وظيفتها لتأسيس مكتب محاماة خاص وللكتابة بإسهاب حول مجموعة واسعة من القضايا القانونية، وعلى وجه الخصوص تلك المتعلقة بالنساء، والأطفال، وقانون الأسرة. بدأت أيضاً تدافع أمام المحاكم عن قضايا قضائية صعبة كان من المحتمل أن تُشكّل خطورة كونها تتعلق بقمع حرية الكلام، علاوة على احتمال المضايقة وحتى قتل الشخصيات الإصلاحية على يد العناصر المرتبطة بالدوائر الأمنية الحكومية.

لكن استناداً إلى ماثاي، كانت هناك نتيجة أخرى لغرس الأشجار بنفس الأهمية على المدى الطويل. تقول إن هؤلاء النساء "هن في أحيان كثيرة أول من يدرك الضرر البيئي عندما تصبح الموارد نادرة وغير قادرة على إعالة أسرهن."

تتذكر ماثاي، في مذكراتها بعنوان "لا أرضخ"، منظرًا للطبيعة كانت تشاهده وهي طفلة حيث كان نضراً وخصباً. كتبت تقول: "كانت المواسم منتظمة بوضوح لدرجة أنك تستطيع تقريباً أن تتكهن بأن الأمطار الموسمية الطويلة سوف تبدأ بالهطول في منتصف آذار/مارس."

لكنها مع مرور العقود، شاهدت المواسم وقد أصبح التكهن بها غير ممكن والأرض مدمرة بسبب النمو السكاني والاستغلال الطائش من قبل حكومات كثيراً ما تكون فاسدة ولا تستجيب لحاجات الناس الفقراء والبيئة الطبيعية.

بعد زرع أكثر من 40 مليون شجرة في وقت لاحق، بما في ذلك إنشاء شبكة الحزام الأخضر عبر أفريقيا، تعلمت ماثاي، وحركتها كذلك كيف ان الاهتمامات البيئية ترتبط بمسائل أوسع نطاقاً تتعلق بالحكم الرشيد وحماية حقوق الإنسان.

ألقي القبض على ماثاي، التي نالت شهادات من جامعات في الولايات المتحدة وشهادة دكتوراه من جامعة نيروبي، وسجنت وضربت عندما هاجمت حملتها الشعبية الفساد المتغلغل في الحكومة، وعلى وجه الخصوص المخططات لبناء برج مكاتب في وسط حديقة أوهورو (الحرية) العامة في نيروبي.

ولكنها انتصرت. فقد انتخبت ماثاي نائباً في برلمان كينيا عام 2002، وتخدم الآن أيضاً كمساعدة لوزير البيئة والموارد الطبيعية والحياة البرية.

قالت ماثاي في الخطاب الذي ألقته عندما تسلمت جائزة نوبل إنه رغم كون حركة الحزام الأخضر لم تكن تعنى في بادئ الأمر بالمسائل السياسية، "فإنه أصبح واضحاً بعد فترة وجيزة أن إنشاء نظام حكم مسؤول بيئياً لن يكون ممكناً بدون إقامة حيز ديمقراطي. ولذلك، أصبحت الشجرة رمزاً للكفاح الديمقراطي في كينيا. ومع مرور الوقت أصبحت الشجرة أيضاً رمزاً للسلام ولحل النزاعات."

### شيرين عبادي: الإيمان في الحرية

لا يمكن لكل من سمع شيرين عبادي، الفائزة بجائزة نوبل للسلام عام 2003، ان يساوره أي شك في التفاني المثابر الذي تأتي به إلى قضية حقوق الإنسان والحرية السياسية، بغض النظر عن اتفاق المرء معها أو اختلافه عنها.

إيران يجب ان يحصل بسلام ومن الداخل، شكلا سوية الأساس  
لأسلوب عملي."

جودي وليامز: الألغام الأرضية والشبكات المضادة لها



جودي وليامز

سؤالان يُطرحان باستمرار على جودي وليامز، الحائزة  
على جائزة نوبل للسلام عام 1997، وكذلك على المنظمة  
التي تديرها والتي تدعى الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية  
(ICBL). هل إنجاز وليامز الأكثر رسوخاً هو المعاهدة الدولية  
لحظر الألغام الأرضية المضادة للأفراد، أم أن الأهم هو نموذج  
الشبكة العالمية للمواطنين المكرسين أنفسهم لهذه القضية التي  
ساعدت على تمهيد الطريق لتشكيل المنظمة، أي الشبكة التي  
مكنت قيام جيل جديد من المنظمات الملتزمة بتحقيق التغيير  
الاجتماعي اللا عنفي؟

ربما لا يمكن الحصول على جواب واضح نظراً للتشابك  
الكامل بين هذين الإنجازين. ولكن الأمر الواضح هو أن وليامز  
والحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية أنتجتا إحدى أنجح  
المبادرات الدولية للسلام في يومنا الحاضر، كما حققنا ذلك  
خلال وقت قصير جداً.

باتت قدرة الشبكات السريعة والمرنة شأنا مسلماً به في  
عصر شبكة الإنترنت التي أصبحت تستعمل النطاق العريض  
في أيامنا هذه. لكن وليامز والحملة الدولية لحظر الألغام

علّق أحد المحللين في الشرق الأوسط يعمل لدى هيئة  
الإذاعة البريطانية بالقول: "رفضها السكوت ورغبتها في الدفاع  
عن قضايا قانونية حساسة سياسية كسبها لها إعجاب مجموعات  
الدفاع عن حقوق الإنسان عبر العالم."

رغم التهديدات والمضايقات من جانب الحكومة، فإن  
حملة عبادي المتعددة الأوجه للدفاع عن حقوق الإنسان، وعلى  
وجه الخصوص تلك المتعلقة بالنساء والأطفال، لا زال يتردد  
صداها عبر إيران والعالم. فقد ساعدت في وطنها على تأسيس  
جمعية دعم حقوق الأطفال عام 1995 ومركز الدفاع عن حقوق  
الإنسان عام 2001. وهي تواصل الكتابة وتسافر كثيراً وتلقي  
المحاضرات حول العدل الاجتماعي ودور المرأة في الإسلام  
في دول أوروبا، وفي الولايات المتحدة ودول عديدة أخرى.

لقد نددت عبادي بالتدخل الأجنبي في شؤون إيران ودول  
أخرى، وتقول: "أؤكد بإصرار ان لا شيء مفيدا ودائما يمكن  
ان ينشأ من العنف"، وفي نفس الوقت تصر أيضاً على شمولية  
المثل العليا للحرية والديمقراطية وبوجه خاص بالنسبة للنساء.  
لاحظت في مذكراتها، التي تحمل عنوان "يقظة إيران"،  
كيف ان النظام القديم أمر بأن تنزع النساء بالقوة الحجاب عن  
وجوههن وكيف ان الحكومة الثورية الجديدة أمرت بأن ترتدي  
النساء الحجاب من جديد. قالت: "كان رضا شاه أول وليس  
آخر حاكم إيراني يلتزم ببرنامج عمل سياسي على جبهة أجساد  
النساء."

انضمت عبادي في عام 2006 إلى فائزين آخرين بجوائز  
نوبل للسلام لإنشاء مبادرة نوبل للنساء "من أجل حشد تجاربنا  
الاستثنائية في جهد موحد لتحقيق السلام مع العدل والمساواة."  
نددت هذه المنظمة بعد سنتين بحملة الحكومة الإيرانية المتجددة  
من المضايقات والتهديدات ضد عبادي ومنظمتها لحقوق  
الإنسان.

في كانون الثاني/يناير 2009، قالت عبادي للحملة الدولية  
لحقوق الإنسان في إيران، "بالرغم من كل الضغوطات، لن  
أغادر إيران ولن أتوقف عن نشاطي في الدفاع عن حقوق  
الإنسان. بل سوف أوصل السير في نفس المسار."

في كتابها "يقظة إيران"، كتبت عبادي تقول، "طوال  
السنوات الثلاث والعشرين الماضية، أي منذ اليوم الذي عزلت  
فيه من منصب القاضي ... بقيت أردد نفس المعزوفة: إن  
تفسير الإسلام بطريقة تنسجم مع المساواة والديمقراطية يُشكّل  
التعبير الحقيقي عن الإيمان. فليس الدين هو الذي يكبل النساء،  
بل الأوامر الانتقائية لأولئك الذين يريدون إبقائهن معزولات  
عن العالم. هذا الاعتقاد، إلى جانب القناعة بأن التغيير في

المعاهدة للمرة الأولى سلاحاً تقليدياً بصورة شاملة."

رغم أن الولايات المتحدة ليست عضواً في المعاهدة، فإنها تبقى أكبر دولة مانحة في العالم لتمويل عمليات إزالة الألغام، وقد حظرت استعمال جميع الألغام "الدائمة" المضادة للأفراد. ولا تحتفظ الولايات المتحدة سوى بالألغام يتم إبطال مفعولها بعد فترة تقاس بساعات أو بأيام، وليس بسنوات.

لم تكثف الحملة الدولية بإنجازها الملحوظ هذا. فقد سلطت الأنظار نحو الموضوع في نشرها "تقرير رصد الألغام الأرضية" الذي تنشره والذي يقيس مدى الالتزام بمعاهدة حظر الألغام الأرضية. ونتيجة لذلك دمرت الدول ما يزيد عن 42 مليون لغم أرضي كانت مخزنة في مستودعات عسكرية، ومن بينها 500 ألف لغم أرضي في عام 2007 فقط.

وأدت برامج إزالة الألغام الأرضية إلى تنظيف حوالي 122 كلم مربع من الأراضي خلال عام 2007 ولكن وقوع الضحايا لا زال يحدث سنة تلو السنة نتيجة انفجار هذه الألغام.

في مقالة حول تأثير جائزة نوبل للسلام، كتبت وليامز التي تعمل حالياً أستاذة في كلية الدراسات العليا للعمل الاجتماعي في جامعة هيوستن، تقول إن "نموذجنا للتغيير، رغم تعرضه للانتقادات أحياناً، يستمر في إلهام الناس عبر العالم الذين يؤمنون أنهم إذا عملوا سوياً، أي المجتمع المدني والحكومة، فإن ذلك يمكنهم من خلق عالم يُشكّل فيه أمن الإنسان الأساس للأمن العالمي، الأمر الذي يمنحنا بدوره السلام، والعدل، والمساواة التي يستحقها كل إنسان في العالم."

### جيفري كندا: حزام ناقل للأطفال

يعتبر جيفري كندا من الناس المحظوظين: فهو صبي أفريقي أميركي نشأ في حي رهيب من أحياء مدينة نيويورك واستطاع الهروب من عنفها، وفقرها، ومدارسها المتردية لينال شهادة ماجستير في حقل التعليم من جامعة هارفارد. ولكن كندا هذا لم ينسَ جذوره. فذهب فور تخرجه للعمل في حي هارلم في نيويورك كمعلم ومدافع عن الأطفال.

لم يحقق كندا النجاح لنفسه فحسب، بل أيضاً أصبح يساعد الآن مئات الأطفال الآخرين الفقراء، والأكثر تعرضاً للمخاطر الذين يعيشون في الأحياء الداخلية الفقيرة. ولكنه، رغم ذلك، قرر أن ما يفعله غير كافٍ.

يصف برنامج للإذاعة العامة في شيكاغو، بعنوان "هذه الحياة الأميركية"، كيف أدرك كندا، بحلول الثمانينات من القرن الماضي، أن مجرد إنقاذ بضعة أطفال لن يكون كافياً لوضع حد

الأرضية كانتا من أوائل الذين أظهروا مدى فعالية مثل هذه الشبكات المنتشرة حول العالم.

بحلول الثمانينات من القرن الماضي، بدأت المجموعات التي تساهم في عمليات الإغاثة الإنسانية، والتنمية، والعناية الصحية تدرك أن مساحات واسعة من الأراضي - بدءاً من البلقان والشرق الأوسط ووصولاً إلى أفريقيا، وجنوب شرق آسيا - كانت ملوثة وأصبحت غير صالحة للاستخدام بسبب زراعتها بملايين الألغام الأرضية والذخائر المتفجرة، والتي ظلت تتسبب في تدمير الحياة بعد وقت طويل من انتهاء الحروب التي دفعت إلى نشرها.

قالت وليامز في خطابها، لدى تسلمها جائزة نوبل للسلام، "اللغم الأرضي يبقى جاهزاً للأبد لحصد الضحايا. إنه الجندي المثالي، والخفير الأبدي. تنتهي الحروب ولكن اللغم الأرضي يستمر في حصد الأرواح."

أسست ست منظمات غير حكومية الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية عام 1992. كانت هذه المنظمات فطنة، ومثابرة... ومحظوظة.

أولاً: بقيت الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية على شكل تحالف فضفاض مؤلف من مجموعات مستقلة، دون مكتب مركزي لها أو تسلسل هرمي لمسؤوليها. وبدلاً من ذلك، قام التحالف ببناء شبكة اتصالات قوية اعتمدت أحدث أنواع التكنولوجيا المتوفرة في ذلك الوقت: الهاتف، والفاكس، وفي السنة الأخيرة من الحملة، بدأت أيضاً باستعمال البريد الإلكتروني. بعد ذلك شدد تحالف الحملة على إجراء أبحاث ميدانية شاملة كي تكون الحقائق والأرقام التي توردها جديرة بالثقة قدر الإمكان. وقد شاركت وليامز بالذات في إعداد دراسة مفصلة حول التداعبات الاقتصادية والاجتماعية لوجود أعداد كبيرة من الألغام الأرضية في أربع دول.

كان توقيت إطلاق الحملة الدولية لحظر الألغام ناجحاً أيضاً. فانتهاء الحرب الباردة سمح للدول بأن تعالج مسائل السلام والأمن من وجهات نظر جديدة، ومكن المواطنين من المطالبة بتنفيذ عمل دولي بمشاركة الحكومة، وليس كمجرد مفوضين أو تابعين.

كتبت وليامز بعد ذلك تقول، إن الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية المضادة للأفراد "حفزت الرأي العام العالمي إلى درجة أنه خلال خمس سنوات تم التفاوض بشأن معاهدة واضحة وبسيطة لحظر استعمال هذه الألغام الأرضية. وقد وقعت هذه المعاهدة 122 دولة في كانون الأول/ديسمبر 1997، وأصبحت المعاهدة قانوناً دولياً ملزماً في وقت أسرع مما حصل بالنسبة لأية اتفاقيات مماثلة في التاريخ. حرمت

الرئاسية للعام 2008 منظمة منطقة أطفال هارلم، ووصفها بأنها "جهد شامل مباشر لمحاربة الفقر، تنقذ فعلياً جيلاً من الأطفال في حي لم يكن يُتوقع أبداً ان يحصلوا فيه على أي فرصة."

تأثر المراقبون ليس برؤيا كندا وحسب، بل وأيضاً بالنتائج التي حققها. ففي السنة الماضية، نجح بنسبة 100 بالمئة تقريباً كافة طلاب الصف الثالث الذين جرى اختبارهم وحصلوا على علامات مساوية أو أعلى من مستوى صفهم في امتحانات الولاية، وهي نتيجة لا مثيل لها لمدرسة في الأحياء الداخلية لمدينة نيويورك.

أحد العناصر التي يشدد عليها كندا هو توجيههم نحو اللغة باكراً، وذلك بناءً على أبحاث تُظهر ان الفرق الأساسي بين العائلات الفقيرة والعائلات المهنية لا يقوم على العرق أو الدخل، كما يقول المؤلف توف، بل على "مجرد عدد الكلمات التي يستعملها معك أهلك عندما تكون طفلاً."

وجد الباحثون انه في عائلات الطبقة المتوسطة، يسمع الصغار منذ الولادة حتى سن ثلاث سنوات، أي فترة النمو الأقصى للدماغ، ما يقرب من 20 مليون كلمة (وتكون مُتكررة في أحيان كثيرة) أكثر مما يسمعه الصغار الفقراء. ويكلمت أخرى، فإن شيئاً بسيطاً كالقراءة لطفل كل ليلة، وهو أمر تحت منظمة منطقة أطفال هارلم الأهالي على القيام به، يمكنه توليد نتائج هائلة إيجابية في حياة الطفل.

لكن القراءة لا تُشكّل سوى مقارنة واحدة ثورية رئيسية لكندا، التي يُسميها "الحزام الناقل"، بمعنى أن منظمة منطقة أطفال هارلم لا تتدخل فقط في حياة الأطفال في أوقات مُعيّنة، بل توفر مدى كاملاً من الخدمات، وكلها مجانية، "من المهد إلى الجامعة". يبدأ عمل الحزام الناقل بكلية الأطفال المشهورة لمنظمة منطقة أطفال هارلم للنساء الحوامل والأمهات الجدييات. يلي هذه الكلية برنامج "هارلم جمز" (جواهر هارلم) للحضانة، ومدارس "بروميس أكاديمي" (أكاديمية الوعد) المرخصة، والتي يتم دعمها إضافياً برعاية طبية وخدمة طب أسنان مجانية، وبرامج ما بعد المدرسة، وخدمات خاصة مثل برامج اللياقة البدنية لمحاربة البدانة، ومعالجة الربو المستشري منذ الطفولة. ومن ثم، مع نمو الجيل الأول هذا، تبقى منظمة منطقة أطفال هارلم تساعدهم عبر المدارس الثانوية والجامعات.

قال كندا، في برنامج المجلة التلفزيونية "60 دقيقة"، "إنهم يحصلون على ما يحصل عليه صغار الطبقة المتوسطة العليا. يحصلون على السلامة. يحصلون على الهيكليّة. يحصلون على الإثراء الأكاديمي. يحصلون على النشاط الثقافي. يحصلون على راشدين يحبونهم وعلى استعداد لأن يفعلوا أي شيء، واعني

للفقر المتوارث عبر الأجيال في هارلم أو في أي مكان آخر، بل ان على منظمته أن تقوم بمحاولة إنقاذ كل طفل تقريباً.

قال كندا: "من أجل صنع فرق حقيقي، يتوجب علينا أن نُفكر على مستوى كبير. علينا أن نعمل مع أطفال يعدون بالآلاف، وقد تصل أعدادهم إلى عشرات الآلاف. وعلينا أن نعمل مع هؤلاء الأطفال منذ ولادتهم وحتى تخرّجهم من الجامعة."

كانت رؤياه غير مسبوقه ومُكلفة. لكن كندا، الرجل الانفعالي الجذاب البالغ من العمر 58 عاماً، يقوم بتطبيق هذه



Evan Karika

جيفري كندا

الرؤيا بنجاح عبر منظمة منطقة أطفال هارلم (HCZ) التي تؤمّن لأكثر من عشرة آلاف طفل خدمات تعليمية شاملة وطبية واجتماعية في حي هارلم الأوسط بميزانية سنوية تقدر بحوالي 40 مليون دولار للعام 2009.

إنجازات كندا تجتذب اهتماماً واسعاً من القيادات بصفتها نموذجاً لكيفية كسر القبضة الحديدية للفقر من خلال الالتزام المطلق بالأطفال ورفاهيتهم، وهو التزام تم اختصاره في عنوان كتاب جديد حول عمل كندا "مهما تطلب الأمر"، من تأليف بول توف، المُحرر في المجلة الأسبوعية لصحيفة نيويورك تايمز. كان من بين هؤلاء القادة باراك أوباما الذي امتدح في حملته

بذلك اني مُستعد لعمل أي شيء لإبقاء هؤلاء الصغار على المسار الصحيح."



فرانسين بروز

© AP Images/Jason DeCrow

### فرانسين بروز: الدفاع عن الكلمات والكتب

يمكنك أن تتوقع أن معظم الكتاب يشعرون بالقلق حول قضايا حرية التعبير. ولكن المؤلفة الأميركية البارزة فرانسين بروز نقلت التزامها بالكتب والكتابة إلى مستوى أعلى. ف منذ عام 2007 وهي تعمل كرئيسة لمركز بنّ الأميركي (PEN)، وهو الفرع الأميركي لمنظمة بنّ الدولية، التي تأسست عام 1921 والتي تفخر بتميزها كأقدم منظمة أدبية ومنظمة تدافع عن حقوق الإنسان في العالم.

تنضم بروز إلى قائمة متميزة من الكتاب البارزين الذين عملوا في مركز بنّ الأميركي على مرّ السنين، ومن بينهم الكاتبان المسرحيان آرثر ميللر ويوجين أونيل، وكاتبا المقالات سوزان سونتاغ وجيمس بالدوين، والروائيان توماس مان وجون شتاينبك، والشاعران آين غينزبرغ وروبرت فروست.

تلقي بروز، المولودة عام 1945، احتراماً واسعاً كروائية ككاتبة مقالات أدبية، ومعلقة حول القضايا العامة. وهي تعمل في ميدان التحرير والتدريس كذلك. تعكس رواياتها التي نالت الكثير من التقدير مجموعة انتقائية من المواضيع، بدءاً بالأكاديميا "الملاك الأزرق"، عدم التسامح والرحمة "رجل متغير" ومنذ عهد أقرب، موضوع بلوغ فتاة سن الرشد "غولدنغروف". أحدث كتبها غير الروائية الذي يعكس اثنين من مجالات شغفها الخاص هو، "القراءة ككاتب: دليل للناس الذين يعشقون الكتب وأولئك الذين يريدون كتابتها".

مركز بنّ الأميركي (وهو اسم مختصر للكلمات الإنجليزية "الشعراء، والمحررون، والروائيون") هو أكبر فرع من فروع

منظمة بنّ الدولية التي يبلغ عددها 144 فرعاً في 99 بلداً وتضم أكثر من 3300 عضو محترف. تعلن منظمة بنّ في سرعة تأسيسها انها "تناصر انتقال مبدأ نقل الأفكار دون حواجز ضمن كل دولة وما ويبين كافة الدول... وتعارض أي شكل من أشكال قمع حرية التعبير... وفرض الرقابة التعسفية عليها".

انتقد مركز بنّ الأميركي الحكومة الأميركية حول مسائل الخصوصية والإشراف القضائي. فعلى سبيل المثال، انضم مركز بنّ إلى منظمات أخرى تمثل أمناء المكتبات، والمكتبات، والكتاب في الدعوة إلى إدخال تغييرات على قانون باتريوت الذي صدر بعد أحداث 11/9 بحيث تؤمن حماية أفضل لخصوصية الأميركيين. كما انتقد مركز بنّ الأميركي أيضاً القانون الذي منح الحكومة الأميركية حقوق المراقبة الإلكترونية الموسعة، ووصفه بمثابة "تخل لا لزوم له عن الحمابيات الدستورية التي تمنع إصدار مذكرات توقيف عامة وعمليات تفتيش غير معقولة".

استمر مركز بنّ الأميركي، بقيادة بروز، في تنفيذ حملته النشيطة لحماية الكتاب والدفاع عنهم حول العالم أيضاً. انتقدت بروز بصورة خاصة الصين بسبب "تقييداتها الخائفة" على التغطية الإخبارية للاضطرابات التي حصلت في التيبّ عام 2008 وتخلفها عن تنفيذ وعودها بالسماح بتغطية إخبارية حرة ومفتوحة خلال الألعاب الأولمبية في بكين.

تحفل منظمة بنّ الدولية في 15 تشرين الثاني/نوفمبر من كل عام بيوم الكاتب السجين "من أجل تكريم شجاعة جميع الكتاب الذين يواجهون القمع بجرأة ويدافعون عن حرية التعبير".

في عام 2008 سلطت منظمة بنّ الدولية الأضواء على خمسة من هؤلاء الكتاب وهم:

- إينولا فاتولاييف (Eynulla Fatullayev)، من أذربيجان، التي تقضي عقوبة بالسجن بسبب تعليقاتها السياسية وتحقيقتها في عملية اغتيال صحافي زميل لها.
- تسيرنغ ووسر (Tsering Woesser)، من الصين، كاتبة وشاعرة "تعرضت للمضايقات المتكررة والمتواصلة بسبب كتاباتها حول التيبّ".
- محمد صادق كابودفاند (Mohammad Sadiq Kabudvand)، من إيران، صحافي وناشط كردي في الدفاع عن حقوق الإنسان يقضي الآن أيامه في السجن.
- ميليسا روسيا باتينييو هينوستروز (Melissa Rocia)

وضعيته التي لا تبغي الربح، فقد فاز المشروع بالجائزة الثانية وقيمتها 12,500 دولار في المسابقة. فانتقلت شون وإيليرمان إلى واشنطن العاصمة عام 2002 لتأسيس مكتب لهما.

كان التحدي الذي يواجههما مثبطاً للعزيمة. كتب إيليرمان: "الحركة المناهضة للاتجار بالبشر لا زالت فتية بينما تتعامل مع منظمات إجرامية تدعمها أكثر الشرور الاجتماعية



كاثرين شون وديريك اليرمان

رسوخاً."

تُقدّر الأمم المتحدة أن هناك، في أي وقت معين، حوالي 12.3 مليون شخص يجبرون على العمل القسري، والعمل المقيد، وعمل الأطفال القسري، والاستعباد الجنسي. وهناك تقديرات أخرى لهذا العدد تتراوح بدرجة واسعة بين 4 و 27 مليون شخص.

يقوم مشروع "بولاريس" بمهاجمة المشكلة على جبهات عديدة. يُجري المشروع عمليات التواصل المباشر مع الضحايا ويحدثهم، ويتضمن ذلك خطوطاً مباشرة للاتصال الطارئ بلغات متعددة، كما يقدم خدمات اجتماعية ومساكن مؤقتة للضحايا. يدير مشروع بولاريس المركز القومي لموارد الاتجار بالبشر الذي يعمل بمثابة خط اتصال مباشر مركزي على المستوى القومي لحالات الاتجار بالبشر في الولايات المتحدة.

تناصر المنظمة أيضاً إصدار تشريعات قوية مضادة للاتجار بالبشر من جانب حكومات الولايات والحكومة

(Patino Hinostroza)، من البيرو، طالبة وشاعرة تجري محاكمتها بسبب ارتباطات مزعومة مع إرهابين رغم عدم توفر أدلة إثبات ضدها.

- كتاب وممثلو وطاقم مسرحية "تمساح زامبيزي"، من زيمبابوي، وهي مسرحية مُنع عرضها وتعرض كاتبها والمشاركون فيها للتهديد والضرب.

قالت بروز، "العمل الذي تقوم به منظمة بِن في سبيل تقدم الأدب وتشجيع وجود مجتمع عالمي من الكتاب أمر مهم على الدوام." لكن التزامنا بالتعبير الحر من أجل حماية حقوق الإنسان، وإنقاذ حياة الكتاب عبر العالم، وحماية حرية الصحفيين هنا وفي الخارج، ومكافحة تعدي الحكومة على خصوصية القراء، والعمل داخل السجون والمدارس، لم تكن أبداً على هذه الدرجة من الأهمية، وبالتالي أكثر ضرورة من الآن."

كاثرين شون وديريك اليرمان: محاربة الاتجار بالبشر

ما كان قد بدأ كحديث خلال تناول العشاء بين الطلاب في العام 2001، في جامعة براون في بروفيديانس بولاية رود آيلاند، أصبح اليوم إحدى أكبر المنظمات في الولايات المتحدة واليابان التي تحارب الاتجار بالبشر.

كانت كاثرين شون تتحدث عن الإلغاء التاريخي للرق في الولايات المتحدة مع زميلها في الصف الدراسي، ديريك إيليرمان، عندما تحول الحديث إلى الرق في العالم الحديث. بعد ذلك بوقت قصير نشرت الصحيفة المحلية مقالاً يتحدث عن ست نساء من كوريا الجنوبية أُجبرن على العمل في بيت للدعارة في مدينة بروفيديانس. استوقف هذا الحدث شون في لحظة "تفكير".

قالت شون، في مقالة نشرت عام 2007 في مجلة حول صحة المرأة، "لقد صدمت بقوة عندما قرأت أن تلك النساء كن في سني تقريباً ومن بلدي الأصلي."

وكانت النتيجة أن أسست شون مع زميلها إيليرمان مشروع "بولاريس"، وقد أطلق عليه هذا الاسم تيمناً بمنظمة "نورث ستار"، وهي المنظمة التي كانت ترشد الأرقاء من جنوب الولايات المتحدة شمالاً باتجاه الحرية عبر ما كان يدعى "بخط السكة الحديد السري"، خلال السنوات التي سبقت الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865).

طوّر الاثنان خطة عمل لموقع على الإنترنت يقدم مساعدة عملية فورية لضحايا الاتجار بالبشر وقدمتا فكرتهما في المسابقة السنوية لمشاريع المبادرات التي تقيمها جامعة براون. رغم

تذكر شون مثال المدرس الذي اتصل ليخبر عن غياب فتاتين لا تتغيبان مطلقاً عن برنامج مدرسي بعد ساعات الدراسة، وذلك بعد أن كان قد تلقى تدريباً في تحديد أماكن وجود ضحايا الاتجار بالبشر. وُجدت الفتاتان بعد ذلك ورفعت قضية قضائية ضد المتاجرين بهما.

تأمل شون أيضاً في إنشاء شراكات إقليمية أوسع مع منظمات في دول أخرى. وتقول، "نريد تحطيم أسواق معينة بالذات وأنواع خاصة محددة من الشبكات الإجرامية، أي صالونات التدليك الآسيوية، أو الاتجار بالنساء والأطفال اللاتينيين، وكل واحد من هؤلاء يملك سوقاً نشطة ذات دينامية خاصة به."

ايليرمان وشون يؤمنان بقضيتيهما وبقدرتهما على إحداث تغيير ذي شأن.

في مقابلة مع إحدى المجلات، قالت شون، "أؤمن بأن الناس يمكنهم أن يحدثوا الفرق. عليك أن تتبع ما يثير اهتمامك، وتقوم بتبنيه، ولا تخف من قبول مواجهة التحدي."

كتب ايليرمان، "الخبر الجيد هو أن الانتصار ممكن في هذه المعركة. وهناك منظمات، وقيادات ماهرة، ورؤيوية، وبرجماتية في نفس الوقت، تعمل في قلب هذا الجهد."

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعكس بالضرورة وجهات نظر أو سياسات الحكومة الأمريكية.

الفدرالية، وتشترك معها أعضاء في المجتمع الأهلي في جهود محلية وشعبية وقومية. يعمل في مشروع بولاريس موظفون احترافيون يتجاوز عددهم الثلاثين، في مكاتبها في واشنطن، وفي نيوارك بولاية نيوجرزي، ودفنر بولاية كولورادو، وطوكيو.

رغم وجود عدد من المنظمات الناشطة في محاربة الاتجار بالبشر، فإن مشروع بولاريس يعتبر أحد المشاريع القليلة التي تعمل في مهاجمة الصناعة الإجرامية مباشرة من خلال تقوية فرض تطبيق القانون وليس مجرد معالجة الضحايا.

وبما أن المجرمين ينظرون في أحيان كثيرة إلى عملية الاتجار بالبشر كنشاط يولد أرباحاً عالية، ويحمل معه مخاطر منخفضة، كما يقول ايليرمان، "فإن الاستراتيجية المركزة التي تضع العوائق بوجه الربح، سوية مع المزيد من المقاضاة والإدانات، هي أكثر المقاربات فعالية لتقويض هذه الصناعة. يعمل ايليرمان أيضاً على مسائل الاتجار بالبشر مع منظمة "أشوكا"، المتخصصة بالمبادرات الاجتماعية.

ينوي مشروع بولاريس في السنة القادمة تقوية برنامجه السياسي القومي، الذي يشمل تشريعات نموذجية للدول ضد الاتجار بالبشر. يأمل شون وإيليرمان أيضاً بتعزيز خط الاتصال المباشر القومي لمشروع بولاريس الذي ازداد حجم الاتصالات فيه ثلاثة أضعاف، ليصل إلى 6000 مكالمة في السنة الماضية، وحيث تمّ التعريف عن 2300 ضحية محتملة للاتجار بالبشر.

يقول شون: "يسمح لنا المركز بأن تكون لدينا عيون وأذان في الميدان لدى المجتمعات الأهلية. تساعدنا الاتصالات الهاتفية في التعرف على عدد أكبر من الضحايا وإحالتهم إلى الخدمات المعنية، وبناء قضايا قضائية ضد المتاجرين بالبشر."

# مصادر رئيسية

Books, articles, films, and organizations concerned with nonviolent change

**Kurlansky, Mark.** *Nonviolence: Twenty-Five Lessons From the History of a Dangerous Idea*. New York, NY: Modern Library, 2006.

**Kurlantzick, Josh.** "Terrorists Against Terror." *Asia Pacific Defense Forum*, vol. 33, no. 3 (3rd quarter, 2008): pp. 36-40.

**Lakshmi, Rama.** "Son Retraces King's '59 India Pilgrimage." *The Washington Post* (February 18, 2009).  
<http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2009/02/17/AR2009021703040.html>

**Martin Luther King and the Montgomery Story** (in English and Arabic, comic book format).  
<http://www.hamsaweb.org/comic/>

**Sharp, Gene.** *Politics of Nonviolent Action*. Boston, MA:  
P. Sargent Publishers, 1973.

**Shirky, Clay.** *Here Comes Everybody: How Digital Networks Transform Our Ability to Gather and Cooperate*. New York, NY: Penguin Press, 2008.

**Staples, Lee.** *Roots to Power: A Manual for Grassroots Organizing*. Westport, CT: Praeger, 2004.

**Talbot, David.** "The Geeks Behind Obama's Web Strategy." *The Boston Globe* (January 9, 2009).  
[http://www.boston.com/news/politics/2008/articles/2009/01/08/the\\_geeks\\_behind\\_obamas\\_web\\_strategy/?page=full](http://www.boston.com/news/politics/2008/articles/2009/01/08/the_geeks_behind_obamas_web_strategy/?page=full)

**Teaching Nonviolence. Best Practices of Nonviolent Conflict Resolution.**  
<http://unesdoc.unesco.org/images/0012/001266/126679e.pdf>

**Thoreau, Henry David.** "Civil Disobedience."

## BOOKS AND ARTICLES

**Ackerman, Peter, and Christopher Krueger.** *Strategic Nonviolent Conflict: The Dynamics of People Power in the Twentieth Century*. Westport, CT: Praeger, 1994.

**Asher, Sarah Beth, Lester R. Kurtz, and Stephen Zunes, eds.** *Nonviolent Social Movements: A Geographical Perspective*. Malden, MA: Blackwell Publishers, 1999.

**Barash, David P.** *The Survival Game: How Game Theory Explains the Biology of Cooperation and Competition*. New York, NY: Times Books, 2003.

**Chernus, Ira.** *American Nonviolence: The History of an Idea*. Maryknoll, NY: Orbis Books, 2004.  
<http://spot.colorado.edu/~chernus/NonviolenceBook/index.htm>

**Helvey, Robert.** *On Strategic Nonviolent Conflict: Thinking About the Fundamentals*. Boston, MA: The Albert Einstein Institution, 2004.  
<http://www.aeinstein.org/organizations/org/OSNC.pdf>

**Horgan, John.** "Has Science Found a Way to End All Wars?" *Discover*, published online (March 13, 2008).  
<http://discovermagazine.com/2008/apr/13-science-says-war-is-over-now>

**King, Mary.** *Mahatma Gandhi and Martin Luther King, Jr. The Power of Nonviolent Action*. Paris: UNESCO Publishing, 1999.

**King, Martin Luther.** *Dr. Martin Luther King, Jr.'s Radio Address to India*. All India Radio (March 1959).  
<http://www.sajaforum.org/2009/01/history-50th-anniversary-of-martin-luther-king-jrs-india-visit.html>

the Bracero Program, which flooded the fields with Mexican contract workers between World War II and the 1960s.

Running Time: 120 minutes

**Freedom on My Mind** (1994)

<http://www.film.com/movies/freedom-on-my-mind/14697772>

Producer: Connie Field

Synopsis: Telling the dramatic story of the Mississippi voter registration project from 1961 to 1964, *Freedom on My Mind* is a landmark documentary that chronicles the most tumultuous and significant years in the history of the U.S. civil rights movement.

Running Time: 104 minutes

**Gandhi** (1982)

<http://www.imdb.com/title/tt0083987/>

Producer: Richard Attenborough

Synopsis: The biography of Mahatma Gandhi, who rose from a small-time lawyer to India's spiritual leader through his philosophy of nonviolent but direct-action protest

Running Time: 188 minutes

**NONGOVERNMENTAL ORGANIZATIONS**

**Burma Global Action Network**

<http://www.burma-network.com/>

**Día de Solidaridad con Cuba**

<http://www.facebook.com/pages/Dia-de-Solidaridad-con-Cuba/12432514783>

**Global Youth Movement**

<http://www.globalyouthmovement.com/>

**Invisible Children**

<http://www.invisiblechildren.com/home.php>

**Million Voices Against FARC**

<http://www.facebook.com/pages/One-million-voices-against-FARC/10780185890>

**One Million People Against Crime in South Africa**

<http://www.facebook.com/group.php?gid=6340297802>

*The U.S. Department of State assumes no responsibility for the content and availability of the resources listed above. All Internet links were active as of March 2009.*

<http://thoreau.eserver.org/civil.html>

**Warren, Mark R.** *Dry Bones Rattling: Community Building to Revitalize American Democracy*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2001.

**FILMOGRAPHY: DOCUMENTARIES AND BIOGRAPHIES**

**A Force More Powerful** (2003)

<http://www.aforcemorepowerful.org>

Producer: York Zimmerman, Inc.

Synopsis: This television series profiles how millions of people chose to battle brutality and oppression during the 20th century with nonviolent weapons — and won.

Running Time: 180 minutes

**Bringing Down a Dictator: From Dictatorship to Democracy** (2003)

<http://www.yorkzim.com/pastProd/bringingDown.html>

Producer: York Zimmerman, Inc.

Synopsis: Learn about nonviolent struggle and action as a means of political defiance. This film also explores how nonviolence helped depose Serbian dictator Slobodan Milosevic.

Running Time: 56 minutes

**Eyes on the Prize** (1987)

<http://www.pbs.org/wgbh/amex/eyesontheprize/index.html>

Producer: Harry Hampton

Synopsis: *Eyes on the Prize* is an award-winning documentary series on the U.S. civil rights movement that brilliantly illuminates the struggle for racial equality and social justice.

Running Time: 14 hours

**The Fight in the Fields: César Chavez and the Farmworkers' Struggle** (1997)

<http://www.pbs.org/itvs/fightfields/index.html>

Producer: Paradigm Productions

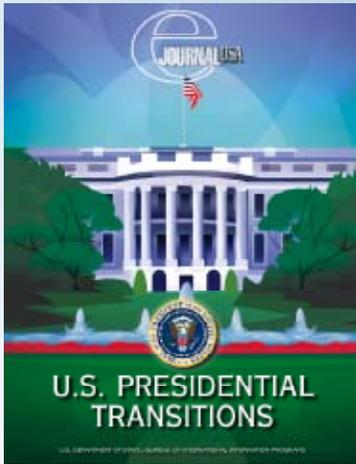
Synopsis: *The Fight in the Fields* follows the first successful organizing drive of farm workers in the United States, while recounting the many failed and dramatic attempts to unionize that led up to this victory. Among the barriers to organizing was



**America.gov**  
*Telling America's Story*

eJOURNAL USA

<http://www.america.gov/ar>



مجلة  
شهرية  
متوفرة  
بعده لغات

